

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOQRATUQUE ET POPULAIRE

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIE

ET DE LA RCHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE 08 MAI 1945 GUELMA

Faculté des lettres et langues

Département de la langue et littérature arabe



وزارة التعليم العلي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

الرقم:

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: (لسانيات تطبيقية)

مظاهر الإقتصاد اللغوي في الخطاب النبوي الشريف
خطبة حجّة الوداع أنموذجاً

مقدمة من قبل :

الطالبة : نور الهدى براهيمية

الطالبة : خولة براهيمية

تاريخ المناقشة: 2020/10/30

أمام اللجنة المكونة من :

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أنيس قرزيز	أستاذ مساعد (أ)	جامعة 8ماي 1945 قالمة	رئيسا
ساسي هادف بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
صالح طواهرى	أستاذ محاضر(أ)	جامعة 8ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/2019



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وعرافان

نحمد الله الذي ألهمنا الصبر والثبات وأمدنا بالقوة والعزم على مواصلة مشوارنا الدراسي وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل، فنحمدك اللهم ونشكرك على نعمتك وفضلك ونسألك البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، وسلام على حبيبه وخليته الأمين عليه أزكى الصلاة والسلام.

كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل بالإشراف على هذا البحث وسعة صدره وعلى حرصه أن يكون هذا العمل في صورة كاملة لا يشوّهه أي نقص، نسأل الله أن يجزيه عنا كل خير قبل الإشراف على هذا العمل البسيط وعلى المجهودات التي بذلها من أجلنا، والنصائح والتوجيهات العظيمة، التي كان يضعها في نصب أعيننا وهي تتبع هذا البحث بكل اهتمام.....جعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم الدين.

إهداء

إلى الأب الحبيب الغالي أطل الله في عمره، الذي كان سندا لنا في طول
مشوارنا الدراسي ولم يبخل علينا بشيء، إلى فيض الحب ووافر العطاء
بلا انتظار ولا مقابل، إلى من كانت شمعة تنير دربنا إلى أماننا الغالية، إلى
كل العائلة كل باسمه ومقامه، إلى كل الإخوة والأهل والأقارب.

مقدمة

مقدمة:

يميل الإنسان بطبعه إلى الاقتصاد في الجهد في الأمور الذي يسعى إلى تحقيقها، ويفسر ذلك نزوعه المستمر إلى الاختراع والابتكار والتطوير لما يستخدمه من أدوات تعينه على العيش برفاهية واستقرار.

وبما أن اللغة من تلك الأدوات، فلا عجب أن ينتقل الاقتصاد في الجهد إلى مكوناتها المتعددة ويشمل مستوياتها كافة، وذلك بالتماس أيسر السبل وأسهلها للتخلص من الأصوات العسيرة والوصول إلى ما يهدف إليه من معان وإيصالها إلى المتحدثين معه، وخاصة أن اللغة من أدوات الاحتكاك بين الأفراد في جميع الميادين.

فإن ظاهرة الاقتصاد اللغوي ظاهرة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، ولكنها في لغتنا العربية أكثر تبياناً ووضوحاً، فهي تعد خاصية من خصائصها المميزة، لأن العرب بطبعهم يميلون إلى الاقتصاد في الكلام، وينفرون مما هو ثقيل على ألسنتهم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب أتاه الله عز وجل جوامع الكلم، وتعد سنته المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وهي من الوحي الذي أنزله الله عز وجل وتعهده بحفظه.

لأجل ذلك أردنا أن ندرس ظاهرة الاقتصاد اللغوي في الخطاب النبوي الشريف، ونقف على أهم مظاهره صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو بلاغية، مختارين أنموذجاً من خطب النبي صلاة الله عليه وسلامه، وهي خطبة الوداع.

لنتضح لنا خطة بحثنا من خلال طرح الإشكالية الآتية:

فيم تكمن مظاهر الاقتصاد اللغوي في الخطاب النبوي الشريف؟

إذ تندرج تحت هذه الإشكالية بعض الأمور الفرعية المتعلقة بالموضوع، والتي نرى ضرورة البحث فيها، منها:

ما مفهوم الاقتصاد اللغوي؟ وكيف نشأ وتطور؟ وما الغاية من اللجوء إليه؟ وما هي أهم نظرياته ومبادئه؟ وما هي مظاهره في الخطاب النبوي الشريف بصفة عامة وخطبة الوداع -مدونة دراستنا - على وجه الخصوص؟

ولقد اقتضت الدراسة أن يقع بحثنا في مقدمة ومدخل عرضنا فيه أهم المفاهيم المتعلقة بموضوع البحث، وفصلين:

-ففي الفصل الأول، وهو الفصل النظري، فقد خصصناه للحديث عن ماهية الاقتصاد اللغوي، وكيف كانت طرق العرب في التعبير، ثم تطرقنا لمفهوم الاقتصاد اللغوي لغة واصطلاحاً، وأشرنا إليه عند العرب القدامى والمحدثين وعند الغربيين، حيث إنه كان موجوداً وكانت العرب تقتصد في كلامها سليقة دون التعرف عليه كمصطلح، كما كانت هناك ألفاظ تعبر عنه كالإيجاز والحذف والاستغناء والاختصار والتخفيف، فكل هذه المصطلحات تهدف إلى ما يهدف إليه الاقتصاد عند المحدثين وهو التعبير بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي.

ثم تحدثنا عنه عند العرب، حيث أشرنا إلى أن بداية ظهور هذا المصطلح كانت مع اللساني أندري مارتيني، من خلال مبدأ التمثيل المزدوج، حيث اتضحت لنا من خلال كل هذه العناصر السالفة الذكر غاية الاقتصاد اللغوي أو الهدف منه وهو سعيه دائماً وراء التقليل من قيمة الجهد العضلي والفكري، ومحاولة بلوغ أكبر الغايات والمقاصد والفوائد بأقل جهد ممكن، فهو ينجح دائماً نحو التيسير واتباع أبسط السبل للوصول إلى المبتغى.

ثم تطرقنا إلى أهم مظاهره من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، مشيرين أيضاً إلى أهم مبادئه ونظرياته، وختمنا هذا الفصل ببعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال كل هذه العناصر.

-أما الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي، فقد وضعنا فيه جانب الاقتصاد على هذه المظاهر المذكورة سابقاً، وختمناه ببعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال التحليل، إذ تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الجوانب التي يحدث من خلالها مبدأ الاقتصاد اللغوي إما صوتياً أو صرفياً أو نحوياً أو بلاغياً، مع شرحها وتحليلها ومحاولة تبسيطها للقارئ، حيث تسعى هذه الدراسة إلى محاولة إزالة أي إبهام أو لبس ربما يعترض إليه المتصفح أو المتلقي وتقديمها له في صورة مبسطة بعيدة عن كل تعقيد.

وقد قمنا بهذه الدراسة لأهمية الموضوع، وذلك من خلال محاولة التقليل من الجهد العضلي أو الفكري باتباع أيسر السبل وبلوغ أكبر الغايات والمقاصد بأقل جهد ممكن.

وكذا محاولة تبيان ما يحمله الخطاب النبوي الشريف من مكونات لغوية جزلة موجزة وبليغة، وكيف يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أكبر المعاني وأبلغ المقاصد بأقل الكلمات والعبارات وبعده التام عن أسلوب الإطناب والحشو في الكلام الذي ربما ينقص من قيمة الكلام.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والذي يخدم موضوع بحثنا من خلال وصف ظاهرة الاقتصاد اللغوي وأي جانب من جوانب العربية تخصص، مع تحليل مظاهرها للوصول إلى كيفية تحقيق هذه المظاهر ما يعرف بالاقتصاد اللغوي.

ولسنا ندعي أننا أول من بحث في ظاهرة الاقتصاد اللغوي، بل سبقتنا إليه دراسات وبحوث نذكر منها:

-رسالة الماجستير للطالبة وردة غديري (جامعة الحاج لخضر باتنة) بعنوان: سمات الاقتصاد اللغوي في العربية دراسة وصفية تحليلية بإشراف الدكتور بلقاسم ليارير، وقد عالجت ظاهرة الاقتصاد اللغوي من مستوياته الثلاث الصوتي والنحوي والدلالي، في كل من القرآن وأمثلة العرب وكذا الأبيات الشعرية.

-مذكرة تخرج معدة استكمالاً لمتطلبات شهادة الماستر للطالبة عبود شعاعة(جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم) بعنوان: الاقتصاد اللغوي في الخبر الصحفي بإشراف الأستاذ المكروم سعيد، حيث تطرقت الطالبة فيها إلى مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية دون المستويات الأخرى.

-مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر للطالبتين أسماء رقاني وجميلة العربي (جامعة ألكلي محند أولحاج البويرة بعنوان: الاقتصاد اللغوي في المستوى التركيبي بإشراف الدكتور بوعلام طهراوي، حيث عالجت الطالبتان مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية التركيبية (النحوية) دون المظاهر الأخرى.

ولما كانت هذه الدراسات وأخرى تعالج ظاهرة الاقتصاد اللغوي من مستوياته المختلفة، وأخرى تعالج عنصرا دون آخر منه، وحيث كان التطبيق عليه بكثرة في القرآن وكلام العرب، وقليل ما كان في الحديث النبوي الشريف.

فجاء عنوان بحثنا بمنحى جديد تعرضنا فيه لمظاهر الاقتصاد اللغوي في الخطاب النبوي الشريف، لعدم وجود دراسة عليه في هذا الموضوع، وأيضا لتوافق ظاهرة الاقتصاد في اللغة مع كلامه صلى الله عليه وسلم بالكلمة الموجزة والجامعة البليغة، وأثرنا من خطب النبي خطبة الوداع لأهميتها وقلة عباراتها مع كثرة معانيها وغاياتها.

ولهذا عمدنا إلى بعض المصادر والمراجع في مذكرتنا هذه كان أهمها ميلي:

-اللغة والاقتصاد (فلوريان كولماس).

-الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد (فخر الدين قباوة).

-أساسيات في اقتصاد اللغة العربية (محمد حسين التميمي).

فمن الصعوبات التي واجهتنا، ونحن نعلم أننا قد ابتلينا بوباء أثر علينا نفسيا، وأغلقت من أجله المكاتب ونحن في أمس الحاجة لبعض المصادر.....

فنسأل الله التوفيق والسداد في عملنا المتواضع هذا، وأن يرفع عنا البلاء ويحفظنا من كل مكروه.

مداخل

مدخل مفاهيمي:

1-الخطاب النبوي الشريف.

2-البلاغة النبوية.

3-خطبة الوداع.

1-الخطاب النبوي الشريف:

الخطاب النبوي هو الكلام الموجه من أعظم الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة الجمعاء، " فلا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وكلامه صلاة الله عليه وسلامه في الذروة والسنام، وحديثه يلي في الفصاحة والبلاغة القرآن الكريم"¹ وبالتالي فالخطاب النبوي يأتي بعد القرآن في الفصاحة والبلاغة. ويتضمن خطابه صلى الله عليه وسلم الحديث النبوي الشريف، فالحديث في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور بأنه: " الحديث من الأشياء، نقيض القديم، ويطلق على الكلام قليله وكثيره لأنه يحدث ويتجدد شيئاً فشيئاً، وجمعه أحاديث"²

وهو أيضا " اسم من التحديث، وهو الإخبار، وفي الكشف الأحاديث اسم جمع ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم"³، فالحديث كلمة مضادة للقديم، وتطلق أيضا على الكلام الذي يخاطب به الناس بعضهم بعضا، كما تعني الإخبار، ومنه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

والنبوي: "ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أي ما جاء عن النبي صلاة الله عليه وسلامه"⁴

والشريف: صفة لإضفاء الشرف عن كل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يصدر عنه إلا شريف الأقوال والأفعال.

فالحديث النبوي الشريف في اللغة هو كل إخبار أو كلام شريف صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أقوال وأفعال، وتقارير، وأخبار، وتوجيه في كافة الشؤون المتعلقة بأمور الدنيا والآخرة.

1-حامد هلال عبد الغفار، الإعجاز اللغوي في القرآن والسنة، الصحوت للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ج1، ص231.

2-ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص797.

3-أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص370.

4-المرجع نفسه، ص370.

2- البلاغة النبوية:

لقد كان خطابه صلى الله عليه وسلم للناس جميعا، بما فيهم المسلمين والكافرين، والمنافقين والملوك وغيرهم، فكان خطابه لكل فئة بما يناسبها ويؤثر في وجدانها، وتفكيرها، فخطابه لأهل مكة ليس كخطابه لأهل المدينة، وخطابه للعرب ليس كخطابه للعجم، فهذا كله من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله سبحانه وتعالى بجملة من الخصائص، لذلك كان خطابه ليس كأبي خطاب بشري، وإنما هم وحي يوحى من الله تعالى على نبيه الكريم.

وكان صلى الله عليه وسلم، يستعمل أحيانا الجمل القصيرة ذات الجرس الموسيقي الذي يقرع داخل الأذن، فيوقظ المشركين من سباتهم العميق إلى حقيقة المبادئ، والأفكار التي جاء بها القرآن الكريم.

إذ يمتاز خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بالسلاسة والدقة والوضوح وخلوه من الألفاظ الغريبة والوحشية، كما نجده صلى الله عليه وسلم يبتعد كل البعد عن أساليب الحشو والإطناب، فيتوسط في الأمر دون مبالغة بزيادة أو نقصان، فتنتهي الألفاظ في خطابه ولا تنتهي المعاني.

لذلك فإن البلاغة النبوية ترقى إلى أعلى مدارج الكمال البشري في حسن التأني للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعان تقع في النفوس موقعا بالغا من التأثير ما لا تنقضي عجائبه ولا يذهب بروائه ورونقه تقادم العهد وكثرة الترداد.

وإذا كان من شأن العرب أن يتكفوا القول صناعة يحسنها خطيبهم وحكيمهم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم- وقد صنعه الله على عينه- يرسل الحديث سليقة وإلهاما، سليما مما يعترى كلام الناس من خلل أو اضطراب.

والجاحظ خير من وصف بلاغة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، بالكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف، واستعمل المبسوط في مواضع البسط والمقصور في مواضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، وابتعد عن الهجين السوقي، وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام.

فكان صلى الله عليه وسلم يميل في كل خطاباته إلى الإيجاز والاختصار في الألفاظ والشمول في المعنى، لذلك فإن أسلوب البلاغة النبوية يمتاز بأنه ليس له مثل في كلام الفصحاء، وهو معدود من أعالي ضروب الفصاحة.¹

3-خطبة الوداع:

قام النبي صلى الله عليه وسلم بحجة واحدة فقط، طوال حياته، هي الحجة المعروفة تاريخياً بحجة الوداع، قبل وفاته بعام واحد، حيث قام الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعائر المقدسة سنة 10هـ، وتوفي -صلى الله عليه وسلم- في ربيع الأول سنة 11هـ.

وخطبة الوداع هي آخر خطبة ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم بجبل عرفات في التاسع من ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة، ويمكن اعتبار حجة الوداع أكبر تجمع إسلامي في العهد النبوي.

فقد جاءت خطبة الوداع موجزة بليغة، إذ تعد نبراساً للأمة في جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

فقد ابتعد فيها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عن الحشو والإطناب واقتصد في كلامه بأساليب التوكيد، حيث جاءت ألفاظه سهلة بسيطة شاملة بعيدة عن كل غموض أو تعقيد. إذ نجده لم يبالغ في خطبته هذه لا بنقصان الذي ربما لا يدرك المتلقي به الأمور على أكمل وجه، ولا بزيادة التي ربما تؤدي بالمتلقي إلى الملل والنفور والخلط في المعلومات.²

1- ينظر: فريدة خليلي، أدب الخطاب النبوي (مذكرة ماستر) في اللغة والأدب العربي، جامعة الجليلي بونعامة خميس مليانة، 2017 2018، ص41.

2- ينظر: عبد العاطي محمد شلبي، الخطابة الإسلامية، أصولها-تعريفها-عناصرها مع نماذج من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء، ص43.

الفصل النظري

الفصل النظري: ماهية الاقتصاد اللغوي.

- نظرة عامة عن طرائق العرب في التعبير.

المبحث الأول: الاقتصاد اللغوي: المفهوم، النشأة والتطور، والغاية.

1- تعريف الاقتصاد اللغوي لغة واصطلاحاً.

2- نشأة الاقتصاد وتطوره.

أ- الاقتصاد عند اللغويين العرب القدامى، وبعض المصطلحات المتعلقة به.

ب- الاقتصاد عند اللغويين العرب المحدثين.

ج- الاقتصاد اللغوي عند الغرب.

3- الهدف أو الغاية من الاقتصاد اللغوي.

المبحث الثاني: الاقتصاد اللغوي: المظاهر والمبادئ.

1- مظاهر الاقتصاد اللغوي.

أ- مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية.

ب- مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية.

ج- مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة.

د- مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية.

2- مبادئ الاقتصاد اللغوي.

أ- مبدأ الجهد الأقل.

ب- وفرة المفردات وقتلتها.

ج- الاقتصاد في أصوات الكلام.

د- اقتصاد الكتابة.

المبحث الثالث: الاقتصاد اللغوي: نظرياته وهرمه.

1- نظريات الاقتصاد اللغوي.

2- هرم الاقتصاد اللغوي.

نظرة عامة عن طرائق العرب في التعبير:

تعتبر اللغة العربية من أهم اللغات، وذلك لانتساع معانيها، ووفرة مفرداتها، ومن أهم مميزاتها أنها بقيت صافية، واكتفت بمقدرتها الذاتية على التعبير عن كل ما يحيط بها، وتلك معجزة القرآن وإعجازه، فقد أكسب القرآن اللغة سعة في المعنى، وهذا ما نجده في التنزيل العزيز: "بلسان عربي مبين".

وقد بلغت اللغة العربية من الكمال والنضج شأنًا كبيرًا لم تبلغه لغة غيرها، وذلك بشهادة أبنائها وأبناء اللغات الأخرى، فهي لغة نابضة متدفقة لها خصائص جمة في طرق التعبير وإيصال المعاني والأفكار إلى الآخرين، فهي تلجأ إلى استعمال أسهل الطرق وذلك بميلها إلى الإيجاز والاختصار في الكلام، وذلك بتأدية المعاني بأقل المباني.

ونجد هذا الميل إلى الإيجاز منذ العصر الجاهلي، فقد أشار عبد العزيز عتيق في كتابه (في البلاغة العربية) إلى الإيجاز حيث قال: "أشاد الجاهليون بالإيجاز ودعوا إليه ومارسوه في أدبهم على اختلاف ألوانه، ولعل السر في اهتمامهم راجع إلى ظروف مجتمعهم، فقد كان مجتمعًا تشيع فيه الأمية وتندر فيه الكتابة... وكما يبدو كانت الحاجة إلى الإيجاز في القول أول الأمر وسيلة لاستيعاب أكبر قدر ممكن من الأدب تستطيع الذاكرة أن تعيه من غير نسيان."¹ وبهذا نستطيع القول إن اللغة العربية لغة إيجاز، فقد كانت أول الأمر وسيلة لتسهيل الحفظ ولذلك لما للإيجاز من اقتصاد وبعد عن التكلف وتقريب الفهم وتصويبه، إضافة إلى تجنب الملل الذي قد ينشأ عن الكلام الكثير، ونجد هذا واضحًا ولا شك في القرآن الكريم، إضافة إلى أقوال النبي (ص) الذي أوتي جوامع الكلم التي غلب عليها منحى الإيجاز والاختصار.

فلعل من أفضل مؤشرات الإيجاز في اللغة العربية، أن الجملة فيها تتكون من عنصرين أساسيين هما: "جملة اسمية وجملة فعلية، وتتكون كل منهما من ركنين اثنين أساسيين فقط هما المسند والمسند إليه، وما يرد بعد هذين الركنين يسمى مكملات الجملة، والأمثلة والشواهد

1 - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، ص 168.

الكثيرة التي يشمل عليها بنيان اللغة العربية وطبيعتها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك في أن العربية لغة إيجاز واختصار¹.

يفهم من قوله هذا أن خصائص اللغة العربية كلها تقوم على ركنين اثنين هما المسند والمسند إليه.

وهكذا إذا نظرنا إلى طريقة العرب في التعبير فنجدهم يميلون إلى الإيجاز والاختصار سواء في استخدامهم للأفعال أو الأسماء فهي بين الثلاثية والسداسية، وهذا ما أشار إليه بعض المعاصرين أن غلبة الألفاظ الثلاثية من خصائص العربية، ولا تكاد لغة تشاركها في هذه السمة الواضحة فكان الأصل الثلاثي عمدة الاشتقاق الذي هم من أبرز خصائص العربية.

أما عن خصائص معاني الألفاظ العربية، فهي تقوم على اختصار صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته، أو بعض أجزائه أو نواحيه، أو تحديد وظيفته، وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه ولننظر في أمثلة قديمة وحديثة من الألفاظ العربية، ونتأمل بين المدلول الأصلي للفظ والمعنى المقصود منه أو الشيء المسمى؛ فمن الألفاظ القديمة: السهل والسماء... ففي هذه الألفاظ يلاحظ أن العرب اختاروا صفة السهولة في السهل والسمو في السماء².

وبهذا فاللغة العربية دائماً تلجأ إلى الإيجاز والاختصار والخفة والسهولة سواء في الأفعال أو الأسماء أو الحروف، ففي الحروف مثلاً نجد أنها تستعمل حرفاً عوضاً عن حرف آخر، وذلك طلباً للخفة والاختصار، إذ نجد في هذا الصدد ابن فارس يشير إلى ما اختصت به العرب وهو قلبهم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخف من الأول نحو قولهم: ميعاد ولم يقولوا موعاد سعياً وراء الخفة والتيسير³.

إذن: فالتخفيف ظاهرة من الظواهر اللغوية التي تسري في شرايين اللغة العربية، ولها وجودها الفعلي نطقاً وتقنياً، وكثيراً ما نلجأ إلى التخفيف أيضاً وذلك بحذف عناصر الجملة شرط أن لا يختل المعنى، والحذف هو " التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث ومن منا لم يفضل الخفة على الثقل ما دامت الخفة مطلوبة، والمقام يستدعيها والحال يطلبها ففي الخفة تكمن

1- عبد الله جاد، الاختصار سمة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص54.

2- ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص302.

3- ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تج: أحمد حسين بسبيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص21.

البلاغة ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير وتكون الجملة مع الحذف أشد وقعا في النفس¹ فالحذف ركن أساسي في البلاغة ومطلب مهم في الحديث، يلجأ إليه الإنسان للاقتصاد في الكلام وذلك بألفاظ قليلة تحمل معاني كثيرة.

وبهذا نقول: يهدف الاختصار إلى تحسين المعنى وتجويد الكلام في اللغة العربية، فمن الأسباب التي تدفع في اتجاه اختصار الكلام والتخلي عما لا طائل منه الرغبة في تحقيق الراحة البدنية والنفسية للمتكلم والسامع، وذلك عن طريق توفير الجهد والوقت وتوصيل المعاني المنشودة بألفاظ قليلة محددة.

ومن القيم أيضا وراء الاختصار هو الرغبة في رفع السأم والملل عن النفس باختصار ما هم مفهوم من الكلام.

وبهذا امتازت اللغة العربية بخصائص جمّة في طرق التعبير، وذلك بقليل من اللفظ كثير من المعنى.

المبحث الأول: الاقتصاد اللغوي: مفهومه، نشأته وتطوره، غايته.

1-تعريف الاقتصاد اللغوي لغة واصطلاحاً:

أ- لغة:

لقد تعددت تعريف الاقتصاد اللغوي من الناحية اللغوية، نذكر منها ما يلي:

* جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة قصد: " القصد استقامة الطريق... وقوله تعالى: { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ. } أي: على الله تبيين الطريق المستقيم... والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير"²

* كما أشار إليه ابن الأثير في المثل السائر تحت عنوان: " في الاقتصاد والتفريط والإفراط" كما يلي: " اعلم أنّ هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد في كلّ شيء من علم وصناعة وخلق، ولا بدّ لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللّغة حتّى يتبين نقلها إلى هذا

1 - عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المرآة، المملكة العربية السعودية، دط، ص160، 159.

2 - أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2012، مادة قصد.

النوع من الكلام، فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.¹

* ويعرف الاقتصاد في معجم الوسيط بأنه: "التوسط في الأمر دون الإفراط والتفريط."²

فانطلاقاً من هذه التعاريف، يتضح لنا أن الاقتصاد لغة لا يخرج عن معنى الاستقامة، والاعتدال، والتوسط في الأمر دون تجاوز الحد بالزيادة أو النقصان. فهو ما بين الإسراف والتقتير.

ب-اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً فهو عند أندري مارتيني: "ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الحاجات والأغراض التي ينبغي تلبيتها، حاجات التبليغ من جهة وخمول الذاكرة والنطق من جهة أخرى، وبين الحاجات والخمول صراع دائم، وإن قيام كل هذه العوامل بدورها تحددتها المحظورات المختلفة التي تنحو إلى تجميد اللسان بإبعاد كل تجديد صارخ."³

*كما عرفه أحد اللسانيين: "أن الاقتصاد في الكلام مرتبط بشرط الجهد الأقل."⁴

فمن خلال تعريف مارتيني للاقتصاد، نلاحظ أنه جعله ناتجاً عن صراع بين أمرين؛ التبليغ والنزعة الإنسانية نحو الاختصار.

في حين نجد أن اللسانيين يربطونه بشرط الجهد الأقل. وعليه فالإقتصاد اصطلاحاً هو الوصول إلى أكبر مقدار من المعلومات، والمقاصد والغايات لكن بأقل جهد ممكن، سعياً وراء التخفيف والتيسير.

11 - ابن الأثير ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص270.

2-مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، مادة قصد.

3 -أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: زبير سعدي، دار الآفاق، الجزائر، دت، ط1، ص154..

4 -ينظر وردة غديري، سمات الاقتصاد اللغوي(دراسة وصفية تحليلية) رسالة ماجستير، 2002 2003، الحاج لخضر باتنة، ص4.

2-نشأة الاقتصاد وتطوره:

أ-الاقتصاد عند اللغويين العرب القدامى، وبعض المصطلحات المتعلقة به:

يجد المتصفح لمؤلفات السلف ألفاظا للتعبير عن الاقتصاد اللغوي؛ كإيجاز، الاختصار، الحذف، التخفيف، الاستغناء، إلى أن المصطلح الأقرب إلى الاقتصاد بمفهومه الحديث هو المصطلح البلاغي: الإيجاز.

* الإيجاز:

يُعرّفُ أحمد مطلوب الإيجاز بأنه: "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني.¹" فتعريفه هذا يتقاطع والاقتصاد اللغوي؛ الذي يتوصل من خلالهما إلى المعاني الكثيرة عن طريق الألفاظ القليلة، أو التعبير بالقليل المتناهي وهو الألفاظ عن الكثير غير المتناهي وهو المعاني والغايات، بحيث يشترط في الكلام الموجز المقتصد الإفادة والوضوح، أي الوصول إلى الغرض والمقصود بأقل قدر من الكلمات دون إخلال بالمعنى.

* الاستغناء:

يرد هذا المصطلح في النحو العربي بمعنى استخدام صيغة بدل أخرى، أو لفظ بدل آخر؛ فيقول السيوطي في (الأشباه والنظائر): "هو باب واسع، فكثيرا ما استغنت العرب عن لفظ بلفظ، من ذلك استغناؤهم عن تثنية سواء بتثنية سي، فقالوا سيآن، ولم يقولوا سواءان.²" فالمراد بالاستغناء هو العدول عن صيغة إلى صيغة، أو من بنية إلى بنية، أو من استعمال إلى استعمال آخر، ويكون هذا العدول عن طريق حذف بعض الكلمة، أو تغيير صورتها، أو الاستعانة بكلمة ليست من اشتقاقها لوجود قرينة.

فالاستغناء يكون بالحذف أو الإبدال أو الاكتفاء أو الإهمال والتّرك، وذلك استحسانا وطلباً للخفة والاختصار والتيسير، ولضرب من البلاغة وتجويد المعنى.

1- معجم المصطلحات البلاغية، ص425.

2- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت ط، ص60.

يعرفه عبد القاهر الجرجاني تعريفاً بلاغياً بحتاً فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجديك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيِّنْ¹". فالحذف هو التخلي أو إسقاط لعنصر من الكلام في مختلف مستويات اللغة، فيحذف الجزء من الكلمة؛ كحذف الحروف، والكلمة كحذف الفعل والفاعل...، كما تحذف الجمل مع الاحتفاظ بسلامة الوظيفة التواصلية.

فالمصطلحات المذكورة أعلاه (الإيجاز، الاستغناء، الحذف) كلها تهدف إلى أن يبلغ المتكلم أكبر قدر من الفوائد لكن بأقل قدر من الكلمات والتعابير، فنحذف ونوجز ونستغني، ونتجنب التكرار والتطول في الأسلوب بشرط أن لا يلتبس الكلام، ولا يختل المعنى.

أما عن الاختصار والتخفيف فهي مصطلحات تهدف إلى ما تهدف إليه المصطلحات السالفة الذكر، سعياً وراء الخفة والسهولة، والابتعاد عن التعقيد والغموض واللبس، مع النفور مما هو ثقيل على الألسنة، ومحاولة رفع السأم والملل عن النفس باختصار المفهوم من الكلام فقط.

ب-الاقتصاد عند اللغويين العرب المحدثين:

الاقتصاد اللغوي ظاهرة لغوية، برز الحديث عنها خلال العصر الحديث كخاصية تتوفر عليها جميع اللغات الإنسانية. ولذلك فهي ليست غريبة عن اللغة العربية، إذ نجد أهم علومها تساهم في تحقيق هذا المطلب الجاد؛ كعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم الأصوات، إضافة إلى علم البلاغة؛ الذي يلعب دوراً بالغا في اكتساب لغة القراء، هذه الميزة التي تهدف إلى بذل أدنى جهد ممكن للتعبير عن حاجاتنا وأغراضنا.

فاللغويون العرب المحدثون يعبرون عن قيمة قديمة بمصطلحات حديثة، فالإقتصاد اللغوي لم يعرف بهذا المصطلح في تراثنا اللغوي، وإنما تناوله اللغويون القدامى بألفاظ مختلفة تحت أبواب شتى في مؤلفاتهم، فقد عرفه تمام حسان قائلاً: "وهو أن يعبر بالقليل المتناهي

¹ -نقلا عن مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القراءان الكريم، مكتبة القراءان، القاهرة، ص16.

فيكون تمام حسان بهذا قد تجاوز المعنى البسيط للاقتصاد إلى تعدد المعاني للفظة الواحدة، فتتناهى الألفاظ والأنماط التركيبية ولا تتناهى المعاني.

بينما يعبر فخر الدين قباوة عن المفهوم نفسه بقوله: " أن يبلغ المتكلم أكبر قدر من الفوائد بأقل كمية من الجهود الذهنية، والعلاجية لآلة الخطاب."²

فقد جعل فخر الدين قباوة عملية الاقتصاد عملية معقدة تتطلب جهوداً ذهنية وعلاجية تتم على مستويين: الدماغ وجهاز النطق.

أما في المعاجم الحديثة، فنجد له تعريفات تتفق في المعنى وإن اختلفت لفظاً، فنجده عند بعلبكي بأنه³: " تجنب التكرار والتطول في الأسلوب، وتعتمد الحذف حيث لا يلتبس الكلام. " فيقربه بذلك من المصطلح البلاغي الإيجاز.

"ونجده عند أحمد مطلوب بأنه نزعة عامة في اللغات إلى الاختصار على أقل قدر ممكن من القواعد، مع الاحتفاظ بسلامة الوظيفة التواصلية للغة، وقد مثل لهذا بعدم ورود علامة التأنيث في الألفاظ الخاصة بالإناث في العربية نحو: حائض ، طالق ،كاعب، مرضع."⁴ فالعلامة عنده ليست ضرورية للتواصل السليم، إذ فسر هذه الظاهرة بالاختصار.

وعليه؛ فالالاقتصاد ظاهرة لغوية هدفها استخدام أقل جهد ممكن، حيث تؤثر في المتلقي وتجعله يتصور ما يناسبه ويعطيه متسعاً يتوهم فيه الكثير من الأشياء.

ج-الاقتصاد اللغوي عند الغرب:

يستعير علم اللغة بعض مصطلحاته من مجال الاقتصاد والمعاملات التجارية، فيقال: الثروة اللغوية، الرصيد اللغوي، الاحتياجات اللغوية، الاقتراض والقيمة، ولطالما شبهت الكلمات بالنقود لقيمتها في عملية التواصل، وفي هذا يقول الفيلسوف الألماني (جورج يوهان) في إحدى مقالاته: " النقود واللغة موضوعان يتسم البحث فيهما بدرجة من العمق والتجريد توازي

1-تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ط1، ص292.

2-فخر الدين قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، ص31.

3-رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية انجليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت 1998، ط1، ص166.

4-ينظر أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي، العراق، 1983، د ط، ج 1 ص278.

عمومية استعمالها، وهما مرتبطان أحدهما بالآخر بشكل أقوى مما هو متصور، ونظرية أحدهما تفسر نظرية الآخر ويبدو أنهما يقومان على أسس مشتركة، فثروة المعرفة الإنسانية كلها تقوم على تبادل الكلمات ومن ناحية أخرى فإن كنوز الحياة المدنية والاجتماعية ترتبط بالنقود بوصفها معيارها العام.¹

وعليه، فإذا نظرنا إلى اللغة وجدناها نظام كل عناصره متماسكة أي يقتضي كل عنصر فيه الآخر بشكل متبادل، وكذلك النقود فالعملة لا تحدد قيمتها إلا بتبادلها مع عملات أخرى.

إذ يعد أندري مارتيني أول من استعمل مصطلح (الاقتصاد اللغوي) من خلال المبدأ المعروف بالتمفصل أو التقطيع المزدوج.

حيث يقول: "التمفصل المزدوج نظام يوجد في كل الألسن التي تم وصفها إلى اليوم، ويظهر أن هذا النظام قد فرض نفسه على المجموعات البشرية بصفته الأنسب إلى حاجات الإنسان وإمكانياته. لاشيء غير الاقتصاد الناجم عن التmfصل المزدوج يمكّن من الحصول على أداة للتبليغ، أداة ذات استعمال عام وقادرة على إيصال معلومات بمقدار مهول وبجهد زهيد."²

فبناء على ما قاله مارتيني؛ فإن مبدأ التmfصل المزدوج يمثل قمة الاقتصاد، إذ يمكننا إنجاز العديد من الرسائل المختلفة، والتعبير عن أغراضنا، والوصول إلى غايات ومقاصد كثيرة بواسطة عدد محدود من الفونيمات والمونيمات. كما أن الوظيفة التواصلية تتم بواسطة عدد محدود من الفونيمات والمونيمات.

فقد ورد مصطلح الاقتصاد اللغوي في مؤلف مارتيني "اقتصاد التغيرات الصوتية" الذي يعد أعظم عمل له في الفونولوجيا الزمانية، وإزاحة ما يكتنف هذه الكلمة من غموض، نرجع إلى هذا المرجع لنتبين مغزاه الحقيقي، فيقول هذا الباحث: "لا يمكن أن نحصر معنى الاقتصاد في معنى التقدير كما فعل ذلك (باسي)، حيث قابل كلمة الاقتصاد بكلمة التبذير، بل إن الاقتصاد يشمل كل شيء: تقليص كل تمييز غير مفيد، وإظهار تميزات جديدة..."³

يتحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي من خلال نظرية التmfصل المزدوج كالاتي:

1 - فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوضي، عالم المعرفة، الكويت، د، ط، ص9.

2 - أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الأفاق، الجزائر، ص21.

3 - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص155.

(إنني مريض في رأسي)، فالتقطيع الأول عند مارتيني هو تقطيع الكلام إلى وحدات لها شكل صوتي ولها دلالة.

وعليه: تصبح الجملة كالآتي: إن/ ياء المتكلم/ مريض/ في/ رأسي.

إذ يمكننا استعمال وحدة مريض في سياقات أخرى كأن نقول: في المستشفى عشرون مريضا. أنجبت الأم مولودا مريضا.

أما التقطيع الثاني هو تقطيع الكلام إلى وحدات لها شكل صوتي وليس لها دلالة، وعليه: فكلمة مريض نقطعها فتصبح (م، ري، ض). إذ يمكن استعمال هذه الحروف في كلمات لانهاية لها، ويمكن التمثيل لهذا بنظام التقلبات عند الخليل، ونظرية الاشتقاق أيضا نحو: (ك، ت، +، ب) (كاتب، كبت، بكت).

ومن هنا أسس مارتيني بهذا التحليل -لنظرية الاقتصاد اللغوي- التي جعلنا قادرين على إنتاج عدد غير محدود من المونيمات بواسطة عدد محدود من الفونيمات، كما جعلنا قادرين على إنتاج العديد من التعبيرات والرسائل بعدد محدود من المونيمات. وهذا هو قمة الاقتصاد.

فمن خلال تطرقنا لعنصر الاقتصاد اللغوي عند اللغويين القدامى والمحدثين وكذلك عند الغرب، فإنه يتضح لنا أن غاية الاقتصاد في اللغة هي تحقيق التعبير وتوصيل المعنى دون نقصان وفق مبدأ جهد أقل. كما أن استخدام خاصية الاقتصاد اللغوي من طرف المتكلم تمكنه من تبليغ عدد كبير من الفوائد بأقل كمية من الجهود وذلك باستخدام الوسائل التعبيرية الميسرة. فالإقتصاد اللغوي كان فعلا ممارسا في لغة التخاطب اليومي من دون حضور تداولي للمصطلح، وقد أكدت النظريات الحديثة على هذا القانون وعمته على ميادين مختلفة، وعلماء اللسان ومن بينهم مارتيني معجب باكتشافه قانون الاقتصاد في اللغة ويرى أن مبدأ الخفة والإفهام هو الذي يقرر مصير تطور اللغات.

3- غاية الاقتصاد اللغوي:

من خلال العناصر السابقة نتضح لنا غاية الاقتصاد اللغوي، وهي الجنوح نحو التيسير ومحاولة بلوغ أكبر الغايات والفوائد والمقاصد بجهد زهيد أو بأقل قدر ممكن من الجهد،

فالاقتصاد اللغوي يهدف إلى التقليل من قيمة الجهد العضلي والفكري، كما أنه لا يحبذ الإسراف في الشيء أو التفتير فيه، وإنما يدعو إلى التوسط في الشيء دون المبالغة فيه بالزيادة أو النقصان، فهو يكتفي بالمفيد القليل المفهوم ويبتعد عن كل ما هو غير مفيد ويعتبره من الزوائد التي لا قيمة لها.

المبحث الثاني: مظاهر ومبادئ الاقتصاد اللغوي:

1-مظاهر الاقتصاد اللغوي:

لو قرأنا اللغة العربية قراءة لسانية بمستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدالية، لوجدنا سمة التكثيف والاختزال والاقتصاد في المجهودين العضلي والفكري واضحة وجليّة، وهي ليست بدعا من اللغات الأخرى التي تحلت بهذه السمة أيضا، فهي سمة إنسانية يجنح لها الكائن البشري ابتغاء للتيسير والسهولة.

ومادامت اللغات في تطور مستمر، فإن الملامح الاقتصادية ترافقها في كل زمان ومكان، وهي في العربية أجلى وأظهر، وهي أصلية فيها. فقد وردت في القرآن الكريم كما وردت في شواهد النحاة والبلاغيين، فالنحوي ينظر إليها من ناحية هل يجوز حذف كلمة مقابل وجود علامة إعرابية تنوب عنها؟ أما البلاغيون فينظرون إلى الاقتصاد من زاوية أداء الجملة للمعنى، أما علماء الأصوات فينظرون إلى هذه الظاهرة من خلال خدمتها لأصواتهم، وكذلك الدالليون فهم ينظرون إليه من خلال بناء الكلمة عندهم، فقد جوزوا بناء كلمة تولد باجتماع عدة حروف من عدة كلمات، فظاهرة الاقتصاد اللغوي ظاهرة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية جميعا، ولكنها في لغتنا العربية أكثر تبيانا ووضوحا، فهي تعد من خصائصها المميزة، لأن العرب بطبعهم يميلون إلى الاقتصاد في الكلام، وينفرون مما هو ثقيل على ألسنتهم.

أ-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية:

*-الإدغام:

يقول سيبويه: " المراد بالإدغام هو اتصال حرف ساكن بحرف متحرك من غير فصل بينهما بفاصل أو وقف، فيصير الحرفان لشدة اتصالهما كحرف واحد."¹

فمن خلال تعريف سيبويه للإدغام، يتضح لنا أن الإدغام هو إخفاء حرف في حرف آخر، فالهدف من الإدغام هو التخفيف في النطق والتسهيل من عملية التواصل، ويتحقق مبدأ الاقتصاد فيه من خلال النطق بحرف واحد بدلا من حرفين مستقلين عن بعضهما البعض، فينطقان حرفا واحدا مشددا اقتصادا في المجهود العضلي، لأن اللسان هنا يرتفع مرة واحدة لكن لصوتين اثنين.

*-التنغيم:

هو العنصر الموسيقي في الكلام، ويظهر ذلك العنصر في ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية تسمى نغمات الكلام؛ ومن تعريفاته:

أ- "أنه عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين."²

ب- "هو موسيقى الكلام."³

ج- " هو الإطار الصوتي الذي تقال به الكلمات."⁴

وعليه، فإن التنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، ويدل على اللحن، ولكل لغة عاداتها التنغيمية والتغيرات الموسيقية في الكلام وهي التنغيم.

فبالتنغيم نعبر عن حالاتنا النفسية، عن مشاعرنا، انفعالاتنا، نتعجب، نحتقر، نندهش، نأمر، ننهي، ننصح، نوجه، نغضب، نرضى، نخاف، نفرح.....

وعليه، فكثيرة هي أساليب التنغيم؛ نداء، استفهام، تعجب، أمر، نهي، توكيد، تكرار....،

1- سيبويه، الكتاب، 4، ص450.

2- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص93.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص123.

4- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص226.

فالتنغيم يغير معنى الجملة من خبر نحو استفهامية أو أمرية أو ندائية، ويحدث هذا بالطريقة والنبرة التي تؤدي بها الجملة، لذلك يلعب هذا الأخير دورا مهما في الوصول إلى الدلالة، والجانب النطقي يتضح فيه التنغيم أكثر من الكتابي، لأنه يقوم على نغمة الصوت.

فقمة الاقتصاد من خلال هذا العنصر تكمن في أن دلالة الجملة يسهل تحديدها من خلال الطريقة التي تؤدي بها.

وزيادة على ذلك فعنصر التنغيم يمكّننا من التخلص من العديد من العلامات الترقيمية، ونستبدلها بنبرة صوت قوية واحدة، وهذا يعد قمة الاقتصاد، فيمكننا أن نعتبر هذه العلامات فائض لغوي، والفائض يقابله الاقتصاد دوماً، واقتصادنا هو التنغيم، كما يسهل ويقلل من الجهد في تحديد الدلالة، أي بواسطته نصل ونحدد الدلالة بأقل جهد ممكن، وفي أقصر مدة ممكنة.¹

*-الوقف(المفصل):

وهو قطع النطق عند آخر الكلم، ويقابله الابتداء أو الاستئناف أو الائتناف، "فهو عند اللسانيين وقفا أو سكتا أو قطعاً".²

فالوقف عبارة عن استراحة للمتكلم لمواصلة كلامه دون تعب، فهو يقلص من قيمة الجهد العضلي، ويقلل منه، فعند القيام بعمل ما ثم الاستراحة منه لوقت معين فإن هذا يكون استعداداً للاستئناف فيه مرة أخرى دون الإحساس بتعب أو ملل، مقارنة بالعمل دون وقف ودون استراحة فهذا يحتاج جهداً أكبر من الأول وربما يؤدي إلى تعب وملل وإرهاق.

فالوقف مظهر يقلص من قيمة الجهد العضلي.

*- التقطيع المزدوج:

كنا قد أشرنا إليه في عنصر سابق، إذ يتحقق مبدأ الاقتصاد من خلال مظهر التقطيع عن طريق عدد محدود من الفونيمات تكون عدداً غير محدود من المونيمات، وكذلك عن طريق

¹ -ينظر: وردة غديري، مرجع سابق، ص101.

² -ينظر: المرجع نفسه، ص35.

عدد محدود من المونيمات تكوّن عددا غير محدود من التعابير والرسائل والاستعمالات. وهنا قمة الاقتصاد.

*-النحت:

هو ضرب من ضروب الاشتقاق في اللغة. " وهو أن تعدد إلى كلمتين أو جملة، فنزاع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها.¹ ونضيف القول: " أن النحت يختصر من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة تدل على ما اختصرت منه، فيقال (حمدل) من الحمد لله.²، وأمثلة النحت كثيرة في العربية.

وعليه فإن النحت من أبرز سمات الاقتصاد اللغوي، فمن خلاله يمكننا التخلص من فائض لغوي كبير، بحيث أننا ننسج من عدة كلمات كلمة واحدة، وبذلك نكون قد قللنا في الجهد وهنا تكمن قمة الاقتصاد.

*-تسهيل الهمز:

يعتبر تسهيل الهمز مثالا صادقا لجنوح العربية نحو اليسر، واقتصاد الجهد، والهمزة نبرة في الصوت تخرج باجتهاد كما يقول سيبيويه، فهي من اشق الأصوات نطقا وأعسرها إخراجا، ولهذا لجأت القبائل إلى تسهيلها.

*-الاعتماد في اللغة العربية على الأصوات المجهورة:

من حيث أن الصوت المجهور أسهل في النطق من المهموس، الذي يتطلب جهدا أكبر ومدة أطول، إذ نجد الأصوات اللغوية المجهورة هي الغالبة في كل كلام مقارنة مع الأصوات المهموسة؛ التي لا يكاد يزيد شيوها في الكلام على عشرين أو خمسة وعشرين في المائة، فالجهر يعني الإعلان عن الشيء وإظهاره، عكس الهمس وهو ستر الشيء وإخفائه، فالأصوات المجهورة تحدث نتيجة تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية وتضامها، أما المهموسة فهي تنتج عن عدم تذبذب الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها مع انفتاحها، وجريان النفس عند النطق بهذه الأصوات أي المهموسة، وعدم جريانها عند النطق بالأصوات المجهورة.³

1-الاشتقاق والتعريب، ص13.

2-محمد حسن عبد العزيز، النحت في العربية، ص07.

3-ينظر: أحمد الطيبي، الاقتصاد المورفولوجي في التواصل اللساني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص90.

فلعل ما يحقق مبدأ الاقتصاد في النطق بالأصوات المجهورة والمهموسة، هو أن الصوت المجهور يكون مغلق لا يخرج معه هواء فيكون أقوى وأسهل وأوضح وأقصر في النطق من المهموس الذي يكون منفتح يتبعه هواء يجعله أطول في النطق به من المجهور.

*-الجوار:

وهو تحريك آخر اللفظ بنفس حركة سابقة تخفيفاً وتيسيراً، وأشهر مثال استدلوا به عليه قولهم: هذا جَرَّ ضَبِّ خَرَبٍ، والأصل يقال: هذا جَرَّ ضَبِّ خَرَبٍ؛ لأنَّ خَرَبَ صفة للجَرِّ وليس للضَبِّ. ومنه قول الشاعر: كأن نسيج العنكبوت المرمَل، والصحيح أن يقال (المرملا)؛ لأنه صفة للنسيج، كما أن الأصوات المتقاربة في المخرج تحدث عسراً وصعوبة في النطق، حيث نجد أغلب كلام العرب مؤلف من الأصوات المتباعدة في المخرج، ذلك أن الجمع بين الأصوات المتقاربة في المخرج أثقل على اللسان وأعصى على السمع، فالأصوات منها ما تستلذ النفس لسماعه، ومنها ما تكره سماعه، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، فلذلك لم تجتمعا في كلمة واحدة، إلا مفصولاً بينهما، وكذلك الهاء."¹

*-المماثلة:

من الطبيعي في كل لغة أن تأتلف الأصوات المفردة في مجموعات من المقاطع الصوتية؛ لتؤلف الكلمات التي تتكون منها الجمل والعبارات، ولأريب أن عملية الاقتصاد في الجهد العضلي هدف مقصود للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجا وصفة سهل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام، فإذا كان النطق بالمتجاورين أمراً صعباً يستلزم جهداً كبيراً، لجأ صاحب اللغة إلى الطرق المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتياً، ويسمى ذلك بالمماثلة، وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه.²

ويمكن تقسيم المماثلة من حيث الاتجاه إلى:

¹ -ينظر أحمد الطيبي، مرجع سابق، ص21.

² -ينظر: عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص317.

مماثلة تقدمية: وهي المماثلة التي يتجه فيها التأثير إلى الأمام، وهذا يعني أن صوتا ما يكون مكيفا مؤثرا، والصوت اللاحق يكون مكيفا متأثرا؛ نحو:

ازدان فأصها ازتان، حيث تحولت (ت إلى د لتمائل ز في الجهر).

مماثلة رجعية:

وهي مماثلة يتجه فيها التأثير إلى الخلف، وهذا يعني أن صوتا ما يؤثر في صوت سابق، فيكون الصوت اللاحق مكيفا متأثرا؛ نحو:

(من بعيد) أصبحت (مم بعيد)، حيث تغيرت (ن إلى م لتمائل ب في الشفائية).¹

فالمماثلة تحقق مبدأ الاقتصاد في الجهد، لأن النطق بصوتين متماثلين في المخرج أو الصفة أسهل وأيسر من النطق بصوتين مختلفين في المخرج أو الصفة. وهذا قمة الاقتصاد.

***-المخالفة:**

في الوقت الذي تدعو فيه أحوال لغوية معينة الأصوات المتخالفة إلى التماثل ليتحقق الانسجام الصوتي بينهما، تدعو أحوال لغوية أخرى الأصوات المتماثلة إلى التخالف ليتحقق الانسجام الصوتي أيضا. فكما أن المماثلة هي تقريب الصوت من الصوت، فالمخالفة هي تحويل أحد التماثلين إلى صوت آخر منعا للثقل وتخفيفا للانسجام.²

إذ يمكن تقسيم المخالفة أيضا من حيث الاتجاه إلى نوعين:

مخالفة تقدمية:

وهي أن يؤثر صوت في صوت لاحق فيجعله مختلفا عنهن وهذا يعني أن التأثير يتجه إلى الأمام، من الصوت المؤثر إلى الصوت المتأثر؛ نحو:

(كَتَابَانَ) فالصوت المؤثر هنا هو الفتحة الطويلة (أي الألف)، والصوت المتأثر هو الفتحة القصيرة التي تحولت إلى كسرة قصيرة.

¹ ينظر: محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار فلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د ط ت، ص 219.

² ينظر: عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 329.

وهي أن يؤثر صوت في صوت سابق، فيجعله مختلفا عنه، وهذا يعني أن التأثير يتجه إلى الخلف من الصوت المتأثر إلى الصوت المؤثر؛ نحو:

(جَمَد) تصبح (جلمد) نلاحظ هنا أن الصوت المؤثر هو (م) الثانية، والصوت المتأثر هم (م) الأولى التي تحولت إلى (ل) التي تختلف عن (م) في مكان النطق وكيفية النطق¹.

فكل من المماثلة والمخافة هدفهما واحد هو السعي وراء التخفيف والتسهيل والاقتصاد في الجهد العضلي.

*-القلب المكاني:

أشار إليه الكثير من الباحثين والمؤلفين، يتمثل في تبادل المواقع، تحدث بين الأصوات المتجاورة في السلسلة الكلامية، وقد عرفت اللغات السامية وحتى اللغات اللاتينية ظاهرة القلب المكاني، مما يدلنا على قدمها وتأصلها، ولعل قانون اختزال الجهد خير من يفسر وجود هذه الظاهرة² التي عرفها محمود فهمي حجازي أنها ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكانيهما، بأن يحل كل منهما محل الآخر بالتقديم أو التأخير³.

فظاهرة القلب المكاني واضحة وجليّة اللغة العربية، حيث لا يمكن إنكارها، فهي ملحوظة في لغة الأطفال الذين لا يستطيعون نطق الألفاظ الكثيرة فيقبلون بعض حروفها.

فكانت هذه أهم مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية، التي تهدف إلى الجنوح نحو اليسر من خلال اتباع أبسط الطرق.

ب-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية:

*-القياس:

يعتبر أيضا من مظاهر الاقتصاد اللغوي، لأنه يتوقف إلى حد ما على قانون الاقتصاد في المجهود، الذي يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد، والصيغ التي يقصدها القياس صيغ عليية،

1 -ينظر: محمد علي الخولي، مرجع سابق، ص221.

2 -ينظر: أحمد طيبي، مرجع سابق، ص21.

3 -ينظر: رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1990، ص85.

بمعنى أنها غير مضمونة من الذاكرة لندرة استعمالها، فالصيغة الشاذة نادرة الاستعمال تنسى وتصاغ من جديد تبعا للقاعدة المطردة.¹

*-الصيغ والأوزان الصرفية:

تعتبر الصيغة أو الوزن الصرفي للكلمة مبدءا يحقق الاقتصاد اللغوي في المجهود الفكري، وذلك من خلال إبراز المعاني وتحديدتها دون إعمال جهد كبير عن طريق بنية الكلمة وصيغها المختلفة. فالصيغ كثيرة وتختلف دلالتها من صيغة إلى أخرى.

كما أنه يساعد على معرفة أصول الكلمة وما يطرأ عليها من تغيير بالزيادة أو الحذف...

*-الإبدال:

الإبدال مصطلح صرفي، يقابله مصطلح المماثلة في الدرس الصوتي، فكل منهما يقوم على إبدال أو تغيير صوت بآخر بغرض التيسير والاقتصاد في الجهد، وكنا قد وضحنا عنصر المماثلة بأمثلة تنطبق على عنصر الإبدال.

فكانت هذه أهم مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية.

ج-مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة:

*-الحذف:

الحذف لغة: " هو أحد أقسام الإيجاز، وهو ظاهرة بلاغية غير مقصورة على اللغة العربية فقط، ولكنها ظاهرة معروفة في كل لغات العالم، تؤثر في التركيب والصوت، لذا كانت من الظواهر العالمية في اللغات، إذ أنها ليست وفقا على لغة دون أخرى.²"

وعليه؛ فالحذف ظاهرة أصيلة في اللغة من حيث الوجود والدراسة، فقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم، كما وردت في شواهد النحاة والبلاغيين، فالنحوي ينظر إليها من ناحية هل يجوز الحذف أو لا، والبلاغي ينظر إلى الحذف من زاوية أداء الجملة للمعنى.

1- ينظر: جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 2014، ص206.

2- محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان، البديع)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، 1/ص304.

والحذف في اصطلاح البلاغيين: "هو حذف ما في العبارة من كلمات من غير أن يختل المعنى، بشرط أن يقوم دليل لفظي أو معنوي على المحذوف.¹" نحو قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)² أي؛ ليقولن خلقها الله.

وفي الاصطلاح أيضا: "أن الحذف هو حذف لفظ أو أكثر من أجزاء الجملة، مع قيام قرينة تعين المحذوف.³"

فالحذف لا يكاد يخرج عن كونه قطع جزع من الملة سواء كان حركة أو حرفا أو كلمة أو تركيبا، مع احتواء هذه الجملة على دليل يدل على المحذوف.

إذن فهو ظاهرة لغوية هدفها الإيجاز والاقتصاد، ويشترط فيه (الحذف) أن لا يؤدي إلى الغموض وفساد المعنى.

*-الإضمار:

يعتبر الإضمار سمة من سمات العربية، ويعتبر أيضا من سننها، وقد عبر عنه الكوفيون بمصطلح الكناية، أو المكنى، والبصريون بمصطلح الضمير.

فالإضمار لا يختلف عن الحذف في تحقيق الاقتصاد والإيجاز، كما أن كل منهما فيه تقدير ما لا وجود له في ظاهر النص.

فالإضمار لغة: "ضم بالفتح يُضمَرُ ضمورا وضمرا بالضم واضطمر، وفي الحديث: (إذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يضم ما في نفسه) أي يضعفه ويقلله، وتقول أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركا فأسكنته.... والمضمرة الموضع والمفعول وأضمرت الشيء أخفيته.⁴.....

فالإضمار من الناحية اللغوية يحمل معنى القلة والخفاء والسكون.

أما اصطلاحا مثله مثل الحذف فيه إسقاط لعنصر من عناصر الكلام مع الإبقاء على ضمير يقوم مقام ما حذف من الكلام اختصارا وخفة وتقليلا. وهذا هو قمة الاقتصاد.

1- بكرى شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، 1، ص191.

2- سورة لقمان، الآية 25.

3- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، 1987، ص41.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج8، مادة ضمير.

***-التنوين:**

يعتبر التنوين من الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية، وظاهرة من ظواهرها التي لا تشاركها فيها لغة أخرى.

وقد اهتم بها النحاة واللغويون، فأفردوا لها بابا من مؤلفاتهم، وعالجوها من جميع النواحي؛ من حيث الأنواع، الوظائف، الآثار الصوتية، ولا ننسى اهتمام علماء القراءات به.

فقد ذكر النحاة عدة تعريفات تخص التنوين، حيث ذكر صاحب الهمع أنه: "نون تثبت لفظا لا خطأ وقال: إن هذا أحسن حدوده وأخصرها، إذ سائر النونات المزيدة الساكنة أو غيرها تثبت خطأ¹."

فإذا دققنا النظر في هذا التعريف، نفهم منه أن التنوين عبارة عن إلحاق نون آخر الكلمة أي؛ أنه في حالة نطق الكلمة نلحقها بنون، لكن كتابة نجدها عبارة عن حركة بسيطة (فتحة، كسرة، ضمة)، فلا وجود لهذه النون إطلاقا. وهنا نجد قمة الاقتصاد أي؛ بواسطة هذه الحركة نتخلص من هذا الحرف الذي لو وجد لاعتبر زيادة في حد ذاته.

فما باله إذا حلت هذه الحركات محل مفردات أو عبارا بحد ذاتها، فهو قمة المحافظة على الجهد والطاقة مع توفير الكثير من المعنى، مثل: صححت أوراق الطلاب، فأعطيت كلاً حقّه، وأصلها أعطيت كل طالب حقّه، فالفتحتان أخذتا مكان مفردة طالب².

فكانت هذه أهم مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية النحوية.

د-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية:

***-الإيجاز:**

يعرف الإيجاز بأنه: "أداء المقصود من الكلام بأقل عبارات متعارف الأوساط³". ويقصد بهذا الأخير، الابتعاد عن الإطناب الممل، ومحاولة أداء المقصود بأقل قدر ممكن من الألفاظ والعبارات.

1- السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص79.

2- ينظر: وردة غديري، مرجع سابق، ص97.

3- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 1999، ج2، ص86.

كما نجد الجاحظ يعرف الإيجاز بقوله: " هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.¹"

وقصده في هذا هو إيجاز اللفظ مع كثرة معانيه.

ونجد تعريف الإيجاز أيضا في المعجم المفصل في علوم البلاغة: "هو أن يكون المعنى زائدا عن اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه اللمحة.²"

الإيجاز عنصر بلاغي يمثل قمة الاقتصاد اللغوي إذ أن هدفه يكمن في بلوغ أكبر قدر من الفوائد والمعاني والغايات والمقاصد بأقل قدر ممكن من الكلمات تجنباً للتكرار والإطناب والحشو في الكلام، أو هو التعبير عن المعاني الكثيرة بأقل العبارات.

وهذا ما يمثل مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية.

2- مبادئ الاقتصاد اللغوي:

*- مبدأ الجهد الأقل:

يعتبر أشمل محاولة للعمل بمبدأ الجهد الأقل في اللغة من كتاب زيف (السلوك الإنساني ومبدأ الجهد الأقل)، الذي رغم شهرته لم يؤخذ بالجدية الكافية في العلوم اللغوية، فقد كان هدف مؤلفه زيف هو تقديم دليل مقنع بأن كل سلوك صحيح للفرد يحكمه مبدأ الجهد الأقل³. فالتكلم يسعى على بذل أقل جهد ممكن أثناء الكلام في سبيل الوصول إلى أبلغ معنى.

وقد استخدم المحدثون مصطلح الجهد الأقل ترجمة للمصطلح الإنجليزي (law of least effort) ، والذي يسميه بعضهم الاقتصاد في المجهود (economy of effort)، فالميل نحو الخفة والسهولة سلوك إنساني عام يشمل اللغة وغيرها من الأنشطة، وقد مال إلى هذه المقولة رائد المدرسة الوظيفية(أندري مارتيني)، الذي نسب إليه عمر مختار قوله: إن التغيرات الصوتية الهامة في اللغة ترجع أساسا إلى الميل إلى استعمال الفونيمات في اللغة اقتصادا وبطريقة سهلة بقدر الإمكان⁴.

1- الجاحظ، الحيوان، ج3، ص86.

2- محمد علي زكي الصباغ ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1992، ص221.

3 -ينظر: فلوريان كولماس، مرجع سابق، ص277.

4 -ينظر: عبد القادر تواتي، دفع الثقل ورفع اللبس وأثرهما في الدرس النحوي العربي(أطروحة دكتوراه)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2016، ص16.

كما أشار أحمد مختار عمر إلى أن المتكلمين يحاولون أن يتجنبوا التحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها، وعلى سبيل المثال عند نطق تاءين متتالين مثل:

(قامت تفتح الباب)؛ فإن المتكلم لا ينطق التاء الأولى كاملة بل بغلق متبوع بانفجار، فإن هذا يقتضي جهدا غير ضروري لإيقاع الفتح الأول لمر الهواء ثم غلقه ثانيا من أجل التاء الثانية.¹ فمبدأ الجهد الأقل يرمي إلى الوصول إلى الهدف المرجو من إبراز المعاني وفق أسهل السبل وأيسرها، كما أن التطور التطور اللساني محكوم بالتناقض الدائم بين الحاجات التبليغية للإنسان وميله إلى تقليص نشاطه الذهني والجسدي إلى الحد الأدنى .

*-وفرة المفدات وقتها:

المعيار الصحيح للوفرة أو النقص في لغة معينة يوجد في ترجمة الكتب الجيدة من اللغات الأخرى إلى تلك اللغة، وفي الوقت نفسه فإن اللغة الأغنى والأكثر ملاءمة هي تلك اللغة التي تسلم نفسها بسهولة أكبر للترجمة الدقيقة، وتكون قادرة على تتبع الأصل خطوة بخطوة، إذ يشير فلوريان كولماس إلى أن الثراء ذو أهمية أساسية في اللغة، وهو يكمن في وفرة الكلمات القوية الوافية بالمراد والمناسبة لكل المواقف، ولا يكمن في قلتها. وهذا من أجل أن يمثل كل شيء بقوة وبشكل ملائم وأن يصور بألوانه الحية كما هي.²

*-الاقتصاد في أصوات الكلام:

يعتبر هذا المبدأ إحدى المبادئ الملفتة للانتباه في الأنظمة الصوتية للغات الإنسانية، وقد جعل مارتيني مبدأ الاقتصاد مبدأ فاعل على مستوى أصوات الكلام، وقد اقتفى في مقاربتة هذه أثر اللغوي (زيف) في مقالة له عن التغيير اللغوي عام 1955، ونظريته التي تعنى بالتطور الفونولوجي.³ ويمكننا أن نقول ان هناك ارتباط كبير بين سهولة النطق وتكرار الفونيمات الذي يعود طبعاً إلى مبدأ الجهد الأقل، وذلك دائماً على المستوى الفونولوجي.⁴

1- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، د ط 1998، ص372.

2- ينظر: فلوريان كولماس، مرجع سابق، ص284.

3- ينظر: المرجع نفسه ص294.

4- ينظر: وردة غديري، مرجع سابق، ص50.

يعتبر الاقتصاد في الكتابة مبدءا مساعدا من مبادئ الاقتصاد في اللغة، فالكتابة مثل الكلام تتطلب جهدا ربما يكون أكثر وضوحا، فقد فسر العلماء تاريخ الكتابة بوصفه تطورا مدفوعا بقوة اقتصاد الجهد، وكون أنظمة الكتابة والإملاء مفتوحة للتشكيل المقصود، أن المبادئ الاقتصادية يمكن أن تستغل بوعي في إصلاح الكتابة.

إن أنظمة الكتابة يمكن تشكيلها عمدا بشكل أسهل من تشكيل الأنظمة اللغوية الفرعية الأخرى، كما أن الكتابة تحتاج للثقافة أكثر من الفونولوجيا والنحو¹.

يبدو بديهيا أن الإنسان بطبيعته يميل إلى الحصول على الحد الأقصى من التأثير بواسطة حد أدنى من الجهد المبذول، وفي الواقع يسعى الإنسان إلى توفير الجهد في شتى المجالات، بل إن كثيرا من الاختراعات تهدف إلى توفير الجهد والاقتصاد في الوقت، وينطبق الشيء ذاته على النشاط الكلامي، وخاصة أن الكلام نشاط يقوم به الإنسان يوميا. فكانت هذه أهم مبادئ الاقتصاد اللغوي.

المبحث الثالث: نظريات الاقتصاد اللغوي، وهرمه:

المطلب الأول: نظريات الاقتصاد اللغوي:

قد كرّس (بول) فصلا من أفضل فصول مؤلفه الكبير بعنوان "اقتصاد التعبير" حيث قال عن الوسائل اللغوية سواء استخدمت باقتصاد أو بإفراط فإن هذا يعتمد على الاحتياجات، ولا يمكن إنكار أن هذه الوسائل كثيرا ما تستعمل بإسراف ولكن كلامنا على العموم يحمل ملامح اقتصاد معين.

كما يعد (يسبرسن) مثل (بول) إذ أنه يعزو لاقتصاد التعبير دورا مركزيا في تفكيره عن طبيعة اللغة، فالتغير اللغوي في رأيه أساسا ومظهرا للميل العام نحو الاقتصاد في الجهد، ولكن على عكس (بول) يسبرسن أكثر اهتماما بالنظام اللغوي².

¹ -ينظر: فلوريان كولماس، مرجع سابق، ص303.

² -ينظر: ابن عبد الله شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص317.

المطلب الثاني: هرم الاقتصاد اللغوي.

تتمثل قاعدة هرم الاقتصاد في "القدرة على استيعاب اللغة"، وربما المقصود من هذا هو أن الإلمام الكافي بأصول التعبير باستخدام الوسائل الحديثة بمدة قصيرة وبجهد قصير يقضي على النفور من تعلم العربية، ثم إن سعة الإدراك والمخزون اللغوي تشكل قاعدة أساسية لارتياح حقل الاقتصاد اللغوي.

أما الركن الثاني من الهرم يتمثل في "بناء منظومة من المفردات والمصطلحات حسب الاختصاص"، إذ يمثل هذا الركن جزءاً من وظيفة التعامل مع اللغة تعاملًا اقتصاديًا، وذلك من خلال توظيف عبارات توظيفًا خلاقًا لخدمة مسار النهوض العلمي من جهة ولتأمين قدر من اليسر الوضوح في التعاملات الحياتية من جهة أخرى، وما يوفره هذا الجانب من تخفيض كلفة الإفهام الواضح والسريع في زمن تتحرك فيه الأحداث والمعلومات تحركًا نشيطًا¹، وعليه، وبناء على هذا فإنه من يملك الحصاد الأوفر من مخزون اللغة العربية، يملك القدرة الأوفر في التعامل اقتصاديًا مع هذه اللغة.

فمن خلال بحثنا في ماهية الاقتصاد اللغوي، استنتجنا ما يلي:

-الاقتصاد اللغوي هو التوسط في الشيء دون إفراط أو تفريط، بمعنى أن لا يسرف صاحبه في الشيء ولا يقتص، فهو بين الإسراف والتقتير، أي عدم المبالغة في الأمر لا بالزيادة ولا بالنقصان.

-مبدأ الاقتصاد اللغوي مودع في فطرة الإنسان، وذلك من خلال محاولته في الجنوح نحو أبسط الطرق والسبل لتبليغ ما يمكن أن يبلغه، مع الابتعاد والنفور عن كل ما يكلفه بدنيا أو نفسيا.

-الاقتصاد اللغوي لم يكن معروفًا بهذا المصطلح في القديم، لكن هناك ما كان يعبر عنه كالإيجاز، الحذف، الاستغناء، الاختصار، التخفيف.

-العرب المحدثون يعبرون عن قيمة قديمة بمصطلحات حديثة.

1 - ينظر: عبود شعاعة، الاقتصاد اللغوي في الخبر الصحفي (مذكرة تخرج معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016، ص 29.

-الاقتصاد اللغوي بمفهومه العام هو أن يبذل المتكلم أقل جهد ممكن في فترة وجيزة، للتعبير عن غاياته وأهدافه.

-في الاقتصاد اللغوي تنتهي الألفاظ والأنماط التركيبية، ولا تنتهي المعاني.

-الاقتصاد اللغوي هو التعبير بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي.

-الاقتصاد اللغوي يحقق الراحة النفسية والبدنية لكل من المتكلم والمتلقي.

-ظهر مصطلح الاقتصاد اللغوي لأول مرة مع اللساني أندري مارتيني من خلال مبدأ التمثيل المزوج.

-التمثيل المزوج مظهر يحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي بامتياز.

-الاقتصاد اللغوي يقضي على ما هو غير مفيد، ويكتفي بالمفيد دون الإبحار في الحشو والإطناب والمبالغة في الشروحات والتعليقات والتفسيرات المملة، التي ينفر منها المتلقي، وتعد له الأمور وتخرج له المعلومات في قالب كله غموض ولبس.

-للاقتصاد اللغوي مظاهر صوتية ونحوية وصرفية وبلاغية، وكلها ترمي إلى الجنوح نحو اليسر والتخفيف.

وبناء على هذا تتحدد قيمة وأهمية الاقتصاد اللغوي في الحاضر بالتوجه نحو الاستخدام الواسع للمختصرات والرموز في حقول العلوم الصرفية والإنسانية، كما نشير إلى أن العرب سبق وأن استخدموا ومنذ وقت بعيد المصطلحات الحرفية الجامعة، ففي علوم التجويد التي تعد علما من علوم العربية لارتباطها بها نحو صرفا وصوتا ودلالة، استخدموا عبارة(يرملون) التي تشتمل على حروف الإدغام، ففي الإدغام يحدث التماثل والتناسق الصوتيين، وهذا نتيجة من نتائج الاقتصاد اللغوي، واستخدام عبارة (وأي) تجمع حروف العلة، كما استخدمت في المصاحف الكريمة ما دعي (اصطلاحات الضبط، علامات الوقف) والوقف لما فيه في اقتصاد في النفس وإراحة للمتكلم والسامع فهو جزء من اقتصاد اللغة، كما نجد الكتاب ومحققو الكتب قد ألفوا استخدام الرموز للدلالة على الكثير من المعاني دون الحاجة إلى ذكر الترقيم والترميز، كما استعاضت المعاجم والقواميس الحديثة باستخدام المختصرات الدالة عوضا من كامل العبارات كما هو الحال بالنسبة لموسوعة(لسان العرب، لابن منظور)

التي ألحقت بمجلد يتضمن المصطلحات العلمية والفنية الحديثة التي أعاد ترتيبها الأستاذ

خياط.¹

¹ - ينظر: مهدي حسين التميمي، أساسيات في اقتصاد اللغة العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص27.

الفصل التطبيقي

الفصل التطبيقي: مظاهر الاقتصاد اللغوي في نص خطبة الوداع.

المبحث الأول: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية.

المبحث الثاني: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية.

المبحث الثالث: مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة.

المبحث الرابع: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية.

المبحث الأول: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية:

*-الإدغام:

وأمثلته كثيرة في نص الخطبة، نذكر منها:

(التَّقْوَى، الزَّمان، السَّدانة، السَّقاية، الشَّاهد، الشَّهور، الشَّيطان، النَّاس، النَّسيء).

هذه الكلمات تتفق في أنها أدغمت لام التعريف فيها بالحرف الموالي، ففي كلمة التقوى أدغمت لام التعريف في حرف التاء، وأيضا في كلمة الزَّمان، فقد أدغمت لام التعريف في حرف الزاي، والأمر نفسه بالنسبة للكلمات المذكورة أعلاه.

فقبل أن تدغم لام التعريف في التاء في كلمة التقوى، تقلب اللام تاء فيجتمع حرفان متماثلان؛ تاء ساكنة والأخرى متحركة فيتحقق شرط الإدغام، فتدغم التاء في التاء والذي سوَّغ هذا الإدغام هو تقارب اللام والتاء في المخرج فينطقان حرفا واحدا مشددا بدلا من حرفين.

وهنا قمة الاقتصاد في الجهد العضلي؛ لأن اللسان في هذه الحالة يرتفع مرة واحدة لكن لصوتين اثنين.

وهذا ما يبسر ويسهل الأمر على المتكلم أين يجعله يصل إلى ما يريد ويعبر عما يريد بأبسط طريقة ممكنة.

وأیضا في كلمة الزَّمان قبل أن تدغم لام التعريف في حرف الزاي تقلب اللام زايا فيجتمع حرفان متماثلان، زايا ساكنة والأخرى متحركة فتدغم الزاي الأولى في الثانية فينطقان حرفا واحدا مشددا.

والأمر نفسه بالنسبة للأمثلة السالفة الذكر.

أما إذا ربطنا ظاهرة الإدغام بالجانب الدلالي، نجد أن الصوت المشدد المضعف ينطق بقوة، فيكون غليظا قويا، إذ يركز القارئ على هذا الصوت تركيزا قويا ربما يؤدي هذا مباشرة بالمتلقي إلى تحديد دلالة الكلمة المدغمة في أقل وقت ممكن من لو أنها كانت غير مدغمة فربما يستصعب عليه الأمر في تحديد الدلالة والوصول إليها.

فالإدغام ظاهرة صوتية، غايتها تحقيق التناسب والتماثل الصوتي، وبالتالي الجنوح نحو التيسير والتخفيف النطقي، إضافة إلى الوصول من خلاله إلى دلالة الكلمة ربما دون إعمال كبير للذهن.

*-المماثلة:

ومثال ذلك في نص الخطبة قوله صلى الله عليه وسلم:

(من ادعى إلى غير أبيه) أي من انتسب إلى غير أبيه، فصياغة افتعل من ادعى هو ادتعى.

فاجتمع هنا صوتان متجاوران؛ الأول مجهور (الدال)، والثاني مهموس (التاء).

فتأثر الثاني بالأول، أي تأثرت التاء بالدال لجهرها وقوتها، فالتاء المهموسة حين تجهر تصير (دالا)، وهنا يتم فناؤهما معا لتصبح الكلمة (ادعى) ويحصل هذا الأمر كنتيجة طبيعية للتجاور بين الأصوات، فقد ينقلب الصوت من الجهر إلى الهمس، أو من الهمس إلى الجهر، لأن الأصوات تتفاعل مع بعضها البعض لتحقق الانسجام الصوتي.

فالمماثلة تسعى دائما وراء الاقتصاد في الجهد العضلي، لأن النطق بصوتين مجهورين أو مهموسين متتاليين أخف وأسرع وأسهل في النطق من النطق بمهموس ثم مجهور أو مجهور ثم مهموس، فهذا يحتاج وقتا أطول وجهدا أكبر من الأول لأن المخرج يتغير.

فالمماثلة عبارة عن إبدال أحد الحروف يتمثل مخرجا أو صفة مع صاحبه وهذا لصعوبة تتابعهما الأصلي على الذوق اللغوي وهي ظاهرة تعليلها بنظرية السهولة والتيسير.

استنتاج:

الفرق بين عنصر الإدغام والمماثلة:

من خلال تطرقنا إلى مظهر الإدغام والمماثلة، وجدنا هدفهما واحد وهو محاولة الجنوح نحو التيسير والتسهيل في النطق، لكن هناك فرق بينهما؛ فالإدغام عملية إدخال حرف في حرف آخر لينطقان بحرف واحد مشدد، أما عنصر المماثلة فهو عملية إبدال حرف بحرف آخر ينسجم صوتيا مع صاحبه مع الإبقاء على كل حرف مستقل عن الآخر.

***-القلب المكاني:**

ومثاله في نص الخطبة كالاتي:

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان قد يبس أن يعبد في أرضكم).

فكلمة (يبس) يحدث فيها قلبا مكانيا لتصبح (أيس)، فالمتكلم يفضل تقديم الهمزة على الياء ربما لقوة الهمزة في النطق وتقلها مقارنة بالياء الخفيفة في النطق، ولأن المتكلم في بدء كلامه يكون أكثر نشاطا وأقوى نفسا.

فالقلب المكاني في الكلمة هدفه التيسير نحو البدء بالحرف الأسهل في النطق اقتصادا في المجهود العضلي.

فالقلب المكاني هو تغيير في ترتيب حروف الكلمة بواسطة تقديم بعض الحروف وتأخير بعضها الآخر، وربما يعود السبب في اللجوء إلى هذا المظهر، هو سهولة نطق حروف وصعوبة الأخرى، أو ثقل الحرف وخفته. ومن منا لا يحبذ السهولة ولا يحبذ أن يخفف على نفسه ويصل إلى مبتغاه بأسهل وأيسر طريقة ممكنة.

فقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي.

***-الوقف:**

وأمثله كثيرة في نص الخطبة نذكر منها:

الحمد لله نحمده ونستعينه،

ونستغفره،

ونتوب إليه،

أما بعد،

أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم،

فإني لا أدري،

أيها الناس إن ربكم لو احد،

وإن أباكم واحد،

أوصيكم عباد الله بتقوى الله،

وأستفتح بالذي هو خير.

-ألا هل بلغت.....اللهم فاشهم قالوا نعم-

فمن خلال هذه الأمثلة التي تضمنت وقفا سواء كان وقفا بالفاصلة أو النقطة أو علامة الاعتراض فإنه، يتضح لنا أن رسولنا الكريم قد جنح إلى مظهر الوقف في مواضع عدة، والوقف هو الانقطاع عن الكلام لمدة قليلة يستريح فيها المتكلم، وهذا استعدادا لمواصلة حديثه مما ينقص عليه التعب والملل ويجعله مستعدا أكثر فأكثر، إذ يتحقق مبدأ الاقتصاد في الجهد العضلي من خلال مظهر الوقف في التقليل من قيمة الجهد والتعب الذي ربما يقع فيهما المتكلم الذي لا يلجأ إلى هذا المظهر. وعليه، فإن العمل الذي يخلو من الوقف ومن الاستراحة يتعب صاحبه ويؤثر عليه بالسلب، ويجعله عاجزا عن مواصلة كلامه، وفي الوقت نفسه يحدث خلطا في المعلومات للمتلقي، ويشوش له ذهنه، وينقص من قيمة الإدراك، وقد يوصل المتلقي إلى النفور منه وإعطائه فرصة للانشغال بأمور أخرى، لأن الوقف ينظم الأفكار ويوصلها إلى المتلقي مرتبة تحفزه على الاستيعاب.

*-التقطيع المزدوج:

نأخذ من نص الخطبة قوله صلى الله عليه وسلم:

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله)

1-التقطيع الأول: تقطع الجملة إلى وحدات لها شكل صوتي ولها دلالة (المونيمات).

فتصبح: أوصي/كم(كاف الخطاب وميم الجماعة)/عباد/الله/ب(حرف جر)تقوى/الله.

فقيمة الاقتصاد من خلال هذا المظهر تكمن في أن الرسول صلاة الله عليه وسلامه يستطيع من خلال هذه الكلمات(المونيمات) تشكيل أو صياغة عدد غير متناه من خطب أخرى أو رسائل تختلف كل واحدة عن الأخرى في الموضوع أو الغرض.

2-التقطيع الثاني: تقطع الجملة إلى وحدات لها شكل صوتي وليس لها دلالة (الفونيمات).

فتصبح: أو/صي/كم/، ع/با/د، ال/ل/ه/، ب/تق/وى/، ال/ل/ه/.

فهذا التقطيع يهدف إلى تشكيل عدد غير محدود من المونيمات بواسطة عدد محدود من الفونيمات.

ونأخذ أيضا قوله صلى الله عليه وسلم:

"إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام"

التقطيع الأول: تقطع العبارة إلى مونيمات، وعليه تصبح:

إن/ دماءكم/ و/ أموالكم/ عليكم/ حرام.

التقطيع الثاني: تقطع العبارة إلى فونيمات، وعليه تصبح:

إن/ دام/اء/كم، و/أم/وال/كم، و/أع/ار/اض/كم، ع/لي/كم، ح/ار/م.

فالتقطيع الأول التي هو عبارة عن مونيمات يستطيع رسولنا الكريم أن يستعمل هذه الألفاظ في تعابير أخرى وإن اختلفت تختلف في الموضوع.

أما التقطيع الثاني يكون من خلال هذه الحروف عددا غير متناه من الكلمات.

والأمر نفسه بالنسبة للعبارات الأخرى.

فمن خلال التقطيعين الأول والثاني، يتضح لنا أنه من خلال عدد محدود من المونيمات يمكن تشكيل عدد غير محدود من الرسائل والتعابير، كما أنه يمكن بواسطة عدد محدود من الفونيمات تشكيل عدد غير محدود من المونيمات.

وهذا قمة الاقتصاد.

***-الاعتماد على الأصوات المجهورة:**

نلاحظ في نص الخطبة غلبة الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، فلعل رسولنا الكريم جنح إليها متعمدا لسهولة قوتها وقوتها مقارنة مع المهموسة.

فالأصوات المهموسة حوالي 146 صوتا في الخطبة، وكما أشرنا سابقا أن الأصوات المهموسة تجتمع في عبارة (حثة شخص فسكت).

أما المجهورة فكل الأصوات المتبقية من 146 صوتا، فعددها أكبر من المهموسة.

وأشرنا سابقا أنه عند نطقنا بالصوت المجهور يكون الصوت مغلق لا يخرج معه هواء، وهناك من يقول تجري النفس عند النطق بالصوت المجهور، أما المهموس فعند النطق به هناك هواء يخرج معه أو يتبعه.

نأخذ مثلا من الأصوات المجهورة ومثالا من الأصوات المهموسة، ونتأكد:

من المجهورة نأخذ صوت القاف، فعند النطق به (أَقْ) يكون مغلقا لا يتبعه هواء.

من المهموسة نأخذ صوت السين، فعند النطق به (أَسْ) يكون مفتحا يخرج أو يتبعه هواء.

ولعل ما جعلهم يقولون أن الأصوات المجهورة أسهل في النطق من المهموسة هو تلك الهواء التي ربما يزيد في مدة النطق بالصوت على عكس انعدامه.

أو من خلال مقارنتهم لعدد المجهورة في العربية التي هي أكبر من المهموسة.

وعليه، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ربما قد اقتصد في مجهوده من خلال اعتماده على الأصوات المجهورة بنسبة فاقت أو تفوق نسبة اعتماده على الأصوات المهموسة.

*-التنغيم:

يتجلى مظهر التنغيم في نص الخطبة في مواضع عدة نذكر منها:

أ-أسلوب النداء:

استهل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم خطبته هذه بأسلوب نداء (أيها الناس)، وهو أسلوب مهم في الخطبة، غرضه استمالة القلوب إلى ما سيلقى من كلام، كما أنه أسلوب يلفت الانتباه ويحفز المتلقي إلى الاستماع والاستعداد والتشويق للآتي.

فالمنبّر أو المقام الذي عليه رسولنا الكريم، وهو أمام جمع كبير من الناس وحشد عظيم، فهذا يفرض عليه نبرة صوت قوية تصل إلى العقول والقلوب، مع لغته الفصيحة السليمة يجذب بها السامعين، ومزج كل هذا بإشارات وإماءات تزيدهم تحفيزاً وتشويقاً إلى ما سيلقى عليهم.

فمجرد استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب من الأساليب، تخطر ببال المتلقي أن الأمر ذو أهمية وهذا ما يجعله يتشوق ويتحمس لما سيلقيه ويعرضه رسولنا صلاة الله عليه وسلامه. فيتحقق مبدأ الاقتصاد في الجهد العضلي من خلال أسلوب النداء بالابتعاد عن تكرار لفظة انصتوا مثلاً أو اسمعوا، فهذه الألفاظ ربما لا تؤدي بالمتلقي إلى الاستعداد والتشويق والحماس مثل ما يؤديه أسلوب النداء بالتركيز على العبارة وإلقائها بصوت عال ولغة فصيحة تهتز لها القلوب، وتصغي لها الأذان.

ب- أسلوب التوكيد مثل:

(إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام...); ففي هذه العبارة يؤكد الرسول (ص) أن سفك الدماء وأخذ الأموال بغير حق حرام، فكانت نبرة صوته قوية تنغيمية تركز على العبارة، ولعل ما يؤكد شدة التحريم وخطورة القيام بذلك، هو التشبيه بحرمة اليوم الذي خطب فيه (ص) وحرمة شهر ذي الحجة وحرمة مكة المكرمة، فحرمة مكة المكرمة عظيمة لا يسفك فيها دم ولا يقتل فيها طير ولا تقطع أشجارها.

كما نجد أسلوباً توكيدياً آخر يتمثل في قوله (ص): (إنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم..).

ففي هذا يذكر الرسول (ص) عباده بأن من أركان العقيدة أن يلقي العباد ربهم ليحاسبهم ويسألهم عن أعمالهم.

فمجرد أن يسمع المتلقي كلاماً مثل هذا يفهم بأنه ملزم بالتعجيل على الالتزام والتمثل والتطبيق.

فقد أكد الرسول (ص) فيما سبق على حرمة الدماء والأموال والأعراض مبيناً قدسيتها في الإسلام ومحذراً من الاعتداء عليها.

ثم نذكر المؤمنين باليوم الآخر ومحاسبة الله للخلق أجمعين، وضرورة إعظام شأن الأمانة وأدائها لأصحابها والتحذير من تضييعها.

كما حدّر المسلمين من العودة لعادات الجاهلية وأخلاقها السيئة في قوله (ص):

- (ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة..)

- (وإن ربا الجاهلية موضوع) أي باطل.

ثم عرج إلى التحذير من كيد الشيطان واتباع خطواته، ومن أخطرها الإصرار على الذنوب في قوله (ص):

(إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً،..... على دينكم.) أي قد يئس من إعادة الشرك إلى مكة بعد فتحها، ولكنه توسط بينكم بالنميمة والتحرش والعداوات.

وفيه أيضاً ما جاء مؤكداً بالتكرار؛ نحو قوله (ص): (كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا)، فبهذا الأسلوب يضمن الإيصال والتثبيت، إضافة إلى حسم التردد والشك في القبول.

كما نجد في الخطبة أدوات أخرى توكيدية كأدوات التحقيق مثل (قد)، في قوله صلى الله عليه وسلم ("قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعد...").

فقد هي لون آخر من ألوان التوكيد تلفت الانتباه وتقوي الدلالة وتحسن التبليغ نحو الأحكام النبوية. وبين مقطع وآخر يجتذب الرسول (ص) بعبارة يكررها وهي (ألا هل بلغت)، وعبارة (اللهم اشهد)، ليقرب في نفوس السامعين مبادئ الدين الحنيف، ويلزمهم بالأخذ وتبليغها، وإشعارهم بأهمية الأمر وإعظام شأنه.

وعليه فإن أهمية التكرار سواء كان تكرار جملة أو كلمة أو حرف فهي تكمن في إعظام شأن الشيء، والزيادة من قيمته، وربما تكمن أيضاً في ترسيخ الفكرة أو الحث على فعل ما...

فأسلوب التوكيد أسلوب تنغمي يؤكد الأمر ولا يترك للمتلقي مجالاً يشك في الأمر كما يبغده عن تكذيبه، إذ نجد الرسول (ص) استعمل هذا الأسلوب ليبتعد عن الشروح الكثيرة والتفسيرات والتعليقات، وهنا قمة الاقتصاد.

ج-أفعال الأمر:

إذ يعد أسلوب الأمر أيضاً أسلوباً تنغمياً، وأمثله كثيرة في نص الخطبة، نذكر منها ما يلي:

-قوله(ص): (فاتقوا الله في النساء)، وقوله أيضا: (فليؤدّها)، وقوله أيضا (فلا تظلمنّ أنفسكم)، وقوله (ص) (فليبلغ الشاهد الغائب).

ففي العبارة الأولى يبين الرسول (ص) منزلة المرأة في الإسلام، ويطالب الرجال ويأمرهم بأن يتواصوا بها خيرا، وذكر بحقوقها وواجباتها وعلى ضرورة الإحسان إليها باعتبارها شريكا في العشرة الزوجية، مبطلا بذلك النظرة الجاهلية للمرأة (واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا).

أما العبارة الثانية فهي عبارة عن فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، فيدرك المتلقي أنه ينبغي أن تؤدي الأمانة فيسرع بالتطبيق، لأنه محذر بتضييعها وعدم تأديتها لأصحابها.

ففي العبارة الثالثة أيضا (فلا تظلمنّ أنفسكم) كان يسعه (ص) أن يقول (فلا تظلموا أنفسكم) ولكن نون التوكيد هي بمثابة القرع للنفس خشية أن تغفل أو تظل.

وفي عبارته (فليبلغ الشاهد الغائب) فربما كانت قوية على المتلقي، ولم يترك له فرصة في أن يتماطل على الأمر أو ربما لا يأخذه بعين الاعتبار، فمجرد استماعه لعبارة مثل هذه يتأكد بأنه أمام كلام صحيح لا يستحق التلاعب به وأنه مجبر أن يبلغ من كان غائبا في الخطبة، كما أن الطريقة التي أدب بها رسولنا الكريم أفعال الأمر هذه تؤدي دورا كبيرا في الإسراع بالأخذ بتعاليمه وأحكامه دون تردد.

فلعل ما يجعل مبدأ الاقتصاد اللغوي يتحقق هنا هو نبرة صوت رسولنا الكريم، حيث إنه يؤديها بصوت قوي يمزجه ربما بحركة بإصبعه مما تجعل المتلقي ملزما بأخذ ما يقوله الرسول (ص) بعين الاعتبار، والإسراع في تطبيق الأوامر المعروضة عليه دون تردد أو شك في الأمر.

فقد جاءت أفعال الأمر أيضا مؤدية للغرض في تحقيق الاقتصاد من خلال الوصول إلى الدلالة التي يريد الرسول صلى الله عليه وسلم إيصالها للمسلمين، وهي أمرهم بأن يتقوا الله في النساء وأن يحسنوا إليهم، كما أمرهم بأداء الأمانة، وأن لا يظلموا أنفسهم، مع ذكر جزاء كل من يحسن لزوجته ومن يؤدي الأمانة، ومن لا يظلم.....

د- أسلوب الاستفهام:

وهو الأسلوب الذي تكرر في نص الخطبة عدة مرات في عبارة (ألا هل بلغت)، وربما كان يستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم عمداً، للتأكد من يقظة المسلمين، وكذا إعادة استيقاظ من ذهب عقله وغفل عن الاستماع له، وهو أسلوب ملفت للانتباه محفز ومشوق.

فكل ما تطرقنا إليه من أساليب تنغيمية، فإن هذه الأساليب تحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي في الجهد الفكري، وهذا من خلال الوصول إلى الدلالة في أسرع وقت ممكن، فالتنغيم يقلص من مدى المجهود الفكري ولا يتعب المتلقي في فهم المقصود، كما أنه يحل محل علامات الترقيم، لأن المتكلم يستعمل العبارة التنغيمية ثم يسكت قليلاً بهدف التأكد من يقظة المتلقين، وتجاوبهم، وحسن انتباههم، ومدى تركيزهم....

فالنداء وأفعال الأمر وأدوات التوكيد وأسلوب الاستفهام كلها تضمن فهماً للمقصود؛ سواء خرج الأمر إلى الإرشاد أو النصح أو الترغيب أو الترهيب.....

وعليه، فإن التنغيم يلفت الانتباه ويوجه النفوس، كما ينبه الجمع المخاطب إلى ما سيعرض عليهم من توجيهات، فبحسن جرسه وتعانق معانيه وتتابع موجاته، يوثق الأمر ويضمن حسن أثره في نفس المتلقي، ويضمن استيعاب الأمر دون أعمال كبير للدّهن ودون بذل جهد كبير، أو بأقل جهد ممكن تتحدد الدلالة عن طريق وكيفية الأداء، فرفع الصوت يؤدي دلالة ربما لا تتحقق في موضع الخفض، فالطريقة التي تؤدي بها الجملة تغييرها من غرض إلى آخر، ومن دلالة إلى أخرى.

وعليه، فقد كان موضوع الخطبة مهماً، وتضمنت ألفاظاً استعملها رسولنا الكريم تفرض على المتلقي سماعها؛ منها:

أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

فقد أدت هذه العبارات غرضاً قوياً في استمالة قلوب وعقول المتلقين، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث معهم وكأنه يودعهم، فأصبحوا ملزمين على التركيز معه والاستماع إلى ما سيقوله لهم وتصديق كل ما سيعرض عليهم وأخذ الأمر بجدية دون تهاون أو تماطل.

كما جاءت هذه العبارات خادمة ومحقة لأساليب التنعيم التي ذكرناها سابقا من أساليب أمر وتوكيد ونداء مع مزجها بنبرة صوت قوية وإماءات معبرة.

فقد أحسن رسولنا الكريم انتقاء ألفاظه لإنجاح خطبته، والسعي وراء تطبيق ما تضمنته من تحذيرات، وأوامر، وترهيبات، وترغيبات.....

المبحث الثاني: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية:

*-الأوزان الصرفية:

تمثل الأوزان الصرفية مظهرا محققا لمبدأ الاقتصاد اللغوي، حيث إن للدلالة الصرفية لبنية الكلمة أهمية في تحديد معناها، فعن طريق بنية الكلمة تحدد دلالتها ويتضح معناها.

ففي الخطبة صيغ كثيرة نذكر منها:

-اعتماد رسولنا الكريم على المفردات الآتية:

دماء، شهور، رقاب، حرم، فرش، مضاجع، عوان، فروجهن، فعند التمعن في هذه الأمثلة نجدها على الأوزان الآتية:

دماء على وزن فعال.

شهور على وزن فعول.

رقاب على وزن فعال.

حرم وفرش على وزن فعل.

مضاجع على وزن مفاعل.

فروجهن على وزن فعول أيضا.

وكلها جموع كثرة.

-كما اعتمد على المفردات الآتية:

أعمالكم، أنفسهن، إخوة، وأوزانها كالاتي:

أفعال، أفعال، فعلة وهي جموع قلة.

-ونجد أيضا كلمة (نساء، الناس) في نص الخطبة وهي أسماء جموع.

فالوزن الصرفي يقلص من قيمة المجهود الفكري في تحديد الدلالة، كما يساعد أيضا على معرفة أصل الكلمة وما يتخللها من زيادة أو نقصان.

*-الإبدال:

تحدثنا عن مثاله في مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية، في عنصر المماثلة.

وأخذنا كلمة ادعى وقلنا أصلها ادعى فأبدلت التاء دالا لتتناسبهما في المخرج، وهذا ما يحقق لنا الاقتصاد سعيا وراء التيسير والانسجام الصوتي.

المبحث الثالث: مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة:

*-الحذف:

يعد الحذف أيضا مظهرا من مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية النحوية، لكن إذا نظرنا إلى هدفه نجده بلاغي، لأنه يهدف إلى الاختصار والتخفيف والإيجاز، ومحاولة بلوغ أكبر الأهداف والغايات والمعاني عن طريق القليل المتناهي.

وقد ورد أسلوب الحذف في نص الخطبة في بعض العبارات نذكر منها:

استهل الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته بقوله:

(أيها الناس)؛ إذ نلاحظ في قوله صلى الله عليه وسلم هذا حذف لأداة النداء (يا) التي تنوب عن الفعل (أنادي).

والأصل في العبارة (يا أيها الناس).

ولعل ما دفع رسولنا الكريم لحذف هذه الأداة هو إحساس متلقيه بأنه قريب منهم ومتلاحم مع أبناء أمته الذين لا زالت الهوة بينهم وبين معلمهم وهاديهم.

فلعل هذا الحذف لهذه الأداة أي أداة النداء (يا) قد حقق هذا القرب وهذا التلاحم، فكأن الناس قرييون إليه يناديهم بأرق النداء وأعذبه، ليستميل قلوبهم إلى ما سيلقى ويعرض عليهم من نصائح وتوجيهات وإرشادات ترضي الله عز وجل، وتبعدهم كل البعد عما يغضبه.

على الرغم من هذا الحذف، إلا أن عمل ومعنى أداة النداء المحذوفة باق، وأفادت الاختصار. وهنا قمة الاقتصاد.

وأيضاً في قوله صلى الله عليه وسلم: (أوصيكم عباد الله) والأصل (أوصيكم يا عباد الله)، فقد حذف أداة النداء أيضاً، وهذا لم يؤثر على المعنى، أو أنه لم يحدث أي خلل أو اضطراب في العبارة، بل بقي معناها تاماً واضحاً بعيداً كل البعد عن أي غموض أو أي لبس، وهذا هو شرط الحذف.

-وفي قوله صلى الله عليه وسلم (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حذف اسم (لعنة) والأصل، (فعليه لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين).

فلعل هذا الحذف تجنب به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم التكرار، فكان بليغاً واضحاً ربما أفضل من لو أنه جاءت على الصيغة الثانية.

-كما حذف رسولنا الكريم صلاة الله عليه وسلامه ضمير النصب في قوله صلى الله عليه وسلم.

(مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه)، والأصل فيها (مما تحرقونه من أعمالكم فاحذروه).

-وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يضل فلا هادي له) وهي في الأصل (ومن يضلله فلا هادي له).

وعليه؛ فحذف هذا الضمير أي ضمير النصب من هذه العبارات لم يغير من المعنى شيئاً، ولم يؤدي إلى أي غموض أو تعقيد في الخطبة.

-كما نجده صلى الله عليه وسلم قد حذف الفعل (أستفهم) في قوله: (ألا هل بلغت)، وترك ما ينبو عنه وهو أداة الاستفهام "هل".

فلو قارنا بين ذكر الفعل وحذفه فلعلنا نجد المعنى في الحذف أوضح وأبلغ وأسلس من الذكر في هذه العبارة.

-وأيضاً حذف الفاعل في قوله صلى الله عليه وسلم: (من يضل فلا هادي له).

والأصل في العبارة (من يضل الله فلا هادي له).

وربما أدى الحذف في هذا الوضع غرضاً وهو تجنب التكرار؛ لأن هذه العبارة وردت معطوفة على الجملة التي قبلها وهي (من يهده الله فلا مضل له).

-حذف المفعول به في قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن فعلن..)

والتقدير (فإن فعلن الفاحشة)، فبالرغم من حذف المفعول به إلا أن المعنى تام صريح واضح بليغ.

ففي بعض الأحيان نجد الحذف أبلغ من الذكر، فالحذف أسلوب محقق للاقتصاد اللغوي، لأنه عبارة عن إسقاط عنصر من عناصر الكلام بشرط أن لا يؤدي هذا الحذف إلى غموض أو تعقيد أو ربما إلى لبس في المعنى، مما يصعب على المتلقي إدراكه وفهمه.

*-الإضمار:

وأمثله كثيرة في نص الخطبة؛ نذكر منها:

-قوله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره)، والأصل (الحمد لله نحمد الله ونستعين الله، ونستغفر الله)، فقد عوض ضمير الهاء لفظة الله في كل موضع، تجنباً للتكرار وطلباً للاختصار والخفة.

-وقوله أيضاً في: (ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي.....) والتقدير: (ولكن الشيطان إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي.....) فقد أغنى ضمير الهاء في لفظة (لكنه) عن كلمة (الشيطان) للابتعاد عن التكرار، الذي ربما يقلل من قيمة الكلام.

-وقوله أيضاً في: (كتاب الله وسنة نبيه) والتقدير: (كتاب الله وسنة نبي الله) فضمير الهاء في لفظة (نبيه) عوضت لفظة الله، طلباً للخفة والاختصار.

وعليه، فإن مظهر الإضمار مظهر يسعى دائماً وراء الخفة والتيسير، والابتعاد كل البعد عن التكرار الذي يحتاج وقتاً أطول من تعويضه بضمير يدل عليه، وهذا قمة الاقتصاد في الجهد العضلي، وذلك من خلال اتباع أبسط السبل لبلوغ أكبر الغايات.

*-التنوين:

وأمثلته: حقا، موضوعة، شهرا، أحدا، خيرا، شيئا، كافرا....

فيتحقق مبدأ الاقتصاد من خلال هذا المظهر بالاكتفاء بحركتين (فتحتين أو ضمنتين أو كسرتين) بدلا من حركة واحدة +نونا مكتوبة.

فالنون تنطق ولا تكتب.

المبحث الرابع: مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية:

*-الإيجاز:

فلعل أهم ما يمثل الاقتصاد اللغوي ككل هم مظهر الإيجاز، فقد جاءت الخطبة كلها إيجاز، إذ نجد الرسول صلى الله عليه وسلم ابتعد كل البعد عن الصور الخيالية؛ من استعارات وكنيات التي تحتاج إلى إطناب، وابتعد عن التوسع والإكثار من الكلام.

فقد جاءت خطبته هذه بكلمات دقيقة وألفاظ مؤثرة، وأساليب مؤكدة لا تحتاج إلى تأويل وشرح وتفسير، وهنا قمة الاقتصاد وقمة البلاغة في الوصول إلى كثير من الغايات والمعاني بقليل من الألفاظ والحروف.

ففي عبارة "نعم" التي أجاب بها الجمع العظيم عن سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم "ألا هل بلغت" تحمل في طياتها معاني كثيرة، فهي جانب يعزز الحالة النفسية للرسول صلاة الله عليه وسلامه حيث يستوثق أنه قد أدى الأمانة كاملة غير منقوصة، ويدرك أنه بلغ وأوصل الرسالة التي يريد.

فهي خطبة صغيرة، ألفاظها دقيقة ومقنعة جعلت المتلقي يتأثر بكلام النبي صلى الله عليه وسلم ويقتنع، وربما هذا التأثير والإقناع هو الذي جعله يجيب بلفظة نعم التي تدل على إدراكه للأمور وفهمها واقتناعه بها، كما جاءت أساليبها مختصرة، لكنها تلخص حكما كثيرة، وهذا بلاغة الاختصار.

فالإيجاز يهدف إلى تجنب المبالغات المقيتة، وتجنب الحشو والإطناب في الكلام، مع الاعتماد على ألفاظ قوية وأسلوب متين وقوي يوصل إلى معان وغايات كثيرة.

ف عبارات الخطبة كلها جاءت قصيرة مختصرة ذات معنى كبير وقوي، تضمنت نصائح وإرشادات قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين.

إذ نجد في الخطبة قضايا كثيرة تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو تحدثت أحد آخر عن المسائل والموضوعات التي عالجتها الخطبة فلعله يبحر في الإطناب وربما الإسهاب والتكرار، والحشو.....

إلا أن رسولنا الكريم وبلاغته العظيمة تجاوز بها كل هذا وكان حديثه موجزا مفيدا هادفا في نص تعد أسطره على أصابع اليد.

فقد لخص الرسول صلاة الله عليه وسلامه لأمته، بل للبشرية جمعاء في نص خطبته مبادئ الرحمة والإنسانية، وأرسى لها دعائم السلم والسلام، كما أنه أقام فيها أواصر المحبة والأخوة، وغرس بأرضها روح التراحم والتعاون.

ومن بين قضايا خطبته الموجزة نذكر:

-قوله صلى الله عليه وسلم: " وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب."

ففي قوله هذا المختصر يتضح لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبطل أحد أسوأ عادات الجاهلية وهو الثأر، وذلك لتحقيق السلامة والأمن للمجتمع.

-وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم: " وإن ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا، وإن أول ما أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب".

ففي هذه العبارة القصيرة أبطل رسولنا الكريم العادات الضارة بالأنفس والأموال، وأسقط الربا للحفاظ على أموال الناس.

وعليه، فإن كل القضايا التي عالجها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع؛ من تأكيده على حرمة الدماء والأموال والأعراض والتحذير من الاعتداء عليها، وتذكير المؤمنين باليوم الآخر ومحاسبة الله للخلق أجمعين، وضرورة إعظام شأن الأمانة وأدائها لأصحابها والتحذير من تضييعها، وتحذير المسلمين من عادات الجاهلية وأخلاقها السيئة: كالثأر والربا والعصبية والتلاعب بالأحكام

واحتقار النساء، كما حذرهم من كيد الشيطان واتباع خطواته، كما نبه المسلمين إلى ظاهرة النسيء التي كانت في الجاهلية وهي التلاعب بأحكام الله وتغيير معناها وأسمائها، وبين أهمية ووجوب الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلاة الله عليه وسلامه، كما ذكرهم بعقيدة التوحيد وأكد على وحدة الجنس البشري أي التحذير من التمييز العنصري، وفي ختام الخطبة أشار إلى بعض أحكام الميراث والوصية والنسب الشرعي، وتحريم التبني.....

فعن طريق استعمال رسولنا الكريم لعبارات مختصرة قليلة الألفاظ، وصل إلى الكثير من المعاني والغايات والفوائد والمقاصد والأهداف، وهي التي لخصتها لفظة "نعم".

وهذا قمة الاقتصاد وفائدة الإيجاز.

وعليه، وبعد هذه الدراسة التحليلية التي تناولت ظاهرة لغوية هامة، وهي ظاهرة الاقتصاد ومظاهره من الناحية (الصوتية، النحوية، الصرفية، البلاغية)، يمكننا أن نسوق بعض النتائج التي توصلنا إليها، وهي:

أ-النتائج التي توصلنا إليها من خلال مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية في خطبة الوداع:

*-الإدغام مظهر صوتي يعمل على تخفيف النطق وذلك رغبة في تحقيق الانسجام والتوافق بين الأصوات، فبدلاً من النطق بحرفين اثنين متكررين يتم النطق بحرف واحد، أي بدل استخدام الجهد مرتين يتم استخدامه مرة واحدة ويجري نطق الحرف مشدداً في هذه الحالة.

*-التقطيع المزدوج يجعل الوظيفة التواصلية تتم بوحدات دالة حيناً، ووحدات غير دالة حيناً آخر وبواسطتها يمكن التعبير عن آلاف المعاني المتنوعة وذلك يكون ويتم بطريقة الاقتصاد والإيجاز.

*-المماثلة عملية إبدال صوت بآخر يتمثل صفة أو مخرجا مع صاحبه سعياً وراء الخفة والتناسب الصوتي والتقليص في الجهد.

*-الوقف مظهر يقلص من قيمة التعب ويعد استعداداً للعمل الموالي.

*-القلب المكاني وفيه تغيير لمواقع الحروف سعياً وراء الخفة وتحقيق الراحة البدنية للمتكلم من تقليص في الجهد العضلي وذلك من خلال النطق بالحروف السهلة أي الحروف التي لا تحتاج جهداً عضلياً كبيراً عند النطق بها.

ب- من الناحية النحوية:

*-الحذف مظهر نصل به إلى الكثير من المعاني والغايات بأقل قدر من الكلمات، بشرط أن لا يؤدي الكلام المحذوف لبسا أو تعقيدا أو غموضا في الكلام، وقد رأينا في الخطبة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على هذا الأسلوب في مواضع عدة، لكن لم يحدث هذا الأخير أي خلل في المعنى، أي بقي كلامه صلى الله عليه وسلم بليغا مفهوما لا يتخلله أي تعقيد أو غموض، وكأنه لم يحذف أي شيء.

*-التنغيم به تتحدد الدلالة ويفهم المقصود في أسرع وقت ممكن ودون أعمال كبير للذهن، فالتنغيم الممزوج بإشارات أو إماءات الوجه، كإبراز العينين أو إشارة باليد تحت على فعل ما أو النهي منه، وفي الخطبة يكون الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قد مزج كلامه بإشارات لأن المقام ونص خطبته يستدعي ذلك لما تضمنته من أحكام وأوامر وترهيبات وترغيبات، وكل هذا يصل بالمتلقي على أبعد الحدود ويؤثر فيه ويجعله يستوعب الأمور دون تعب أو ملل.

ج- من الناحية الصرفية:

*-الإبدال يهدف إلى ما تهدف إليه المماثلة في الصوت وهو عملية إبدال حرف بآخر ينسجم مع صاحبه مخرجا أو صفة لتسهيل النطق والتخفيف.

*-الأوزان الصرفية تسهل الوصول إلى الدلالة من خلال بنية الكلمة وصيغتها.

د- من الناحية البلاغية:

*-الإيجاز أكبر مظهر بلاغي يحقق مبدأ الاقتصاد من خلال التعبير بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي.

فمن خلال ما تطرقنا إليه في هذا الفصل يمكننا أن نستنتج أهمية الاقتصاد اللغوي سواء من الناحية الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية.

-فالاقتصاد اللغوي ومظاهره يساعد المتكلم على بلوغ أكبر قدر من الفوائد والمعلومات، لكن بجهد زهيد وبأقل قدر ممكن من الوقت.

-يقضي الاقتصاد اللغوي على قيمة التعب التي يحسها المتكلم ويدفعه نحو نشاط وتقديم المزيد.

-الاقتصاد اللغوي يفيد المتكلم في الإنقاص من قيمة جهده العضلي وفي الوقت نفسه يفيد المتلقي في الإنقاص من قيمة جهده الفكري ربما في الوصول إلى المقصود والمبتغى والهدف دون أعمال كبير للدّهن.

-الاقتصاد اللغوي يقضي على الشروحات الكثيرة والتفسيرات والتعليقات المملة التي تؤدي بالمتلقي إلى تشويش في ذهنه وربما إلى الخلط بين الأفكار والمعلومات.

-يقدم الاقتصاد اللغوي النص في شكل موجز مفهوم ومبسط، مع ترابط في أفكاره وتسلسل في المعلومات.

-يهدف الاقتصاد اللغوي إلى تخفيف العبء على المتكلم والمتلقي، ومحاولة تيسير وتخفيف عليه الكثير من الأمور.

-يعمل المتكلم جاهدا من أجل إنجاح ما يقوله؛ من إيصال للأفكار للمتلقي أو إزالة لبس أو غموض أو السعي وراء تبسيط فكرة وتقديمها في قالب كله سهولة ووضوح، ولعل ما يحقق له ذلك هو مبدأ الاقتصاد اللغوي.

ومثالنا في ذلك هو بين أيدينا، وهو خطبة الوداع التي سعى فيها رسولنا الكريم وعمل جاهدا من أجل توصيل الفكرة للمسلمين، حيث برع في انتقاء الألفاظ والعبارات التي ربما من أجلها تفاعل معه الجمع العظيم، وصغت له الأذان، واهتزت لكلماته وأسلوبه ولغته الفصيحة الخالية من كل عيب القلوب، كما كان بارعا وذكيا في استعماله لعبارات يتفقد بها الجمهور من حين لآخر، وعدم ترك الفرصة لهم للغفلة وربما الانشغال بأمور أخرى.

-الاقتصاد اللغوي يحقق الراحة البدنية والنفسية للمتكلم والسماع، وذلك عن طريق توفير الجهد والوقت وتوصيل المعاني المنشودة بألفاظ قليلة محددة.

وعليه، فقد جاءت خطبة الوداع خطبة مقنعة، لجأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أساليب مقنعة ومؤثرة، أثرت في المتلقي وأقنعته وأبعدته عن كل شك مريب وكل تكذيب، فقد نجح فيها واستطاع أن يستميل قلوب السامعين بألفاظه وعباراته الموجزة المؤكدة البعيدة عن أساليب الخيال والتكليف، حيث تأكد من أن ما قدمه للجمع العظيم قد وصل إليهم وأدركوه من خلال لفظة "نعم" التي أجابوا بها عن سؤاله (ص) "ألا هل بلغت".

كما تضمنت مظاهر اقتصادية كبيرة، سواء كانت صوتية أو نحوية أو صرفية أو بلاغية، فربما قد لجأ إليها متعمدا للتقليل من قيمة الجهد وتحقيق الراحة البدنية له والنفسية أو الفكرية للمتلقي، في استيعاب الأمور بأيسر الطرق وأبسطها، مع تحفيزه وتشويقه لها، فقد بلغ صلى الله عليه وسلم في خطبته هذه أكبر قدر من الفوائد بأقل قدر من الجهد.

فخير الكلام ما قل ودل، فرسولنا كانت عباراته مفيدة مختصرة اكتفى بالمفيد ولم يبالغ بالزيادة والشروحات الكثيرة والتعليقات المملة، كما أنه لم يبالغ بالنقصان الذي ربما لا يفي بالغرض، فالرسول صلى الله عليه وسلم وقف في الوسط لم يسرف ولم يقتر أتم رسالته على أكمل وجه، فجاءت خطبته موفية الغرض و متممة المعنى غير ناقصة ولا يتخللها أي إبهام ونقصان.

وهذا هو الهدف من الاقتصاد اللغوي في أي كلام.

خاتمة

خاتمة:

بعد قراءة هذا البحث تتضح لنا أهميته الكبيرة وقيمته العلمية الرائعة في خدمة اللغة العربية، حيث يعد الاقتصاد اللغوي أكبر مظهر يؤدي إلى التقليل من قيمة الجهد العضلي والفكري، ومن منا لا يحبذ اتباع أيسر وأبسط السبل للوصول إلى أكبر الأهداف والمقاصد والغايات.

فالاقتصاد اللغوي تتناهى الألفاظ التركيبية فيه ولا تتناهى المعاني، إذ نصل به إلى الكثير من المعاني بالقليل من الألفاظ.

كما أنه مبدأ يقضي على كل ما هو غير مفيد ويكتفي بالمفيد دون حشو في الكلام أو خلط أو إطناب.

وعليه فالإقتصاد اللغوي هو التوسط في الأمر دون المبالغة فيه بالزيادة أو النقصان، وهدفه هو الجنوح نحو التيسير.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القراءان الكريم.

ثانياً: المعاجم.

- أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2012.
- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي، العراق، 1983، ط1، ج1.
- رمزي المنير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية انجليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ط1.
- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004.

ثالثاً: الكتب.

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية.
- ابن الأثير ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الجرزي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2.
- ابن عبد الله شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008.
- أبو البقاء الكوفي، الكليات.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسين بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- أحمد الطيبي، الاقتصاد المورفولوجي في التواصل اللساني، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالك اكتب، القاهرة، ط1، 1998.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.
- الاشتقاق والتعريب.
- الجاحظ، الحيوان، ج3.
- السيوطي، همع الهوامع، ج2.
- أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة: زبير سعدي، دار الأفاق، الجزائر، دت، ط1.

- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط1.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها.
- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ط1.
- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط.
- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 2014.
- حامد هلال عبد الغفار، الإعجاز اللغوي في القرآن والسنة، الصحوت للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ج1.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1990.
- سيبويه، الكتاب، 4.
- عبد العاطي محمد شلبي، الخطابة الإسلامية، أصولها تعريفها عناصرها مع نموذج من خطب الرسول(ص) والخلفاء.
- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط.
- عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 2008.
- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المرايا، المملكة العربية السعودية، دط، دت.
- عبد الله جاد، الاختصار سمة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006.
- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 1999، ج2.
- فخر الدين قباوة، الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد.
- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوضي، عالم المعرفة، الكويت، دت، دط.
- ماريو باي، أسس علم اللغة.
- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، دط.
- محمد حسن عبد العزيز، النحت في العربية.
- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، 1987.
- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار فلاح للنشر والتوزيع، الأردن، دت، دط.
- محمد علي زكي الصباغ، البلاغة الشعرية، في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 1992.

-محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي(المعاني، البيان، البديع)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ط1.

-مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، القاهرة.

-مهدي حسين التميمي، أساسيات في اقتصاد اللغة العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.

رابعاً: الرسائل الجامعية.

-عبد القادر تواتي، دفع الثقل ورفع اللبس وأثرهما في الدرس النحوي العربي(أطروحة دكتوراه)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر 2016.

-عبود شعاعة، الاقتصاد اللغوي في الخبر الصحفي(مذكرة تخرج معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر)، جامعة عد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016 2017.

-فريدة خليلي، أدب الخطاب النبوي(مذكرة ماستر) في اللغة والأدب العربي، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2017 2018.

-وردة غديري، سمات الاقتصاد اللغوي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2002 2003.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر و عرفان

إهداء

أد.....	مقدمة:
6.....	مدخل مفاهيمي:
7.....	1-الخطاب النبوي الشريف:
8.....	2-البلاغة النبوية:
9.....	3-خطبة الوداع:
12.....	الفصل النظري: ماهية الاقتصاد اللغوي.
14.....	نظرة عامة عن طرائق العرب في التعبير:
16.....	المبحث الأول: الاقتصاد اللغوي: مفهومه، نشأته وتطوره، غايته.
16.....	1-تعريف الاقتصاد اللغوي لغة واصطلاحاً:
16.....	أ- لغة:
17.....	ب-اصطلاحاً:
18.....	2-نشأة الاقتصاد وتطوره:
18.....	أ-الاقتصاد عند اللغويين العرب القدامى، وبعض المصطلحات المتعلقة به:
19.....	ب-الاقتصاد عند اللغويين العرب المحدثين:
20.....	ج-الاقتصاد اللغوي عند الغرب:
22.....	3-غاية الاقتصاد اللغوي:
23.....	المبحث الثاني: مظاهر ومبادئ الاقتصاد اللغوي:
23.....	1-مظاهر الاقتصاد اللغوي:

- أ-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية: 24.....
- 24..... * الادغام
- 24..... *التنغيم
- 25..... *الوقف
- 25..... *التقطيع المزدوج
- 26..... * النحت
- 26..... * تسهيل الهمز
- 26..... *الاعتماد في اللغة العربية على الأصوات المجهورة
- 27..... *الجوار
- 27..... * المماثلة
- 28..... *المخالفة
- 29..... * القلب المكاني
- ب-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية: 29.....
- 29..... * القياس
- 30..... *الصيغ والاوزان الصرفية
- 30..... *الإبدال
- ج-مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة: 30.....
- 30..... *الحذف
- 31..... *الإضمار
- 32..... *التنوين
- د-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية: 32.....

- 32.....*الإيجاز
- 33.....2-مبادئ الاقتصاد اللغوي:
- 35.....المبحث الثالث: نظريات الاقتصاد اللغوي، وهرمه:**
- 35.....المطلب الأول: نظريات الاقتصاد اللغوي:
- 36.....المطلب الثاني: هرم الاقتصاد اللغوي.
- 40.....الفصل التطبيقي: مظاهر الاقتصاد اللغوي في نص خطبة الوداع.**
- 41.....أ-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصوتية:
- 41.....*-الإدغام:
- 42.....*-المماثلة:
- 43.....*-القلب المكاني:
- 43.....*-الوقف:
- 44.....*-التقطيع المزدوج:
- 45.....*-الاعتماد على الأصوات المجهورة:
- 46.....*-التنغيم:
- 51.....ب-مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية الصرفية:
- 51.....*-الأوزان الصرفية:
- 52.....*-الإبدال:
- 52.....ج- مظاهر الاقتصاد اللغوي بين النحو والبلاغة:
- 52.....*-الحذف:

*-التنوين:54

د- مظاهر الاقتصاد اللغوي من الناحية البلاغية:54

*-الإيجاز:54

خاتمة:62

قائمة المصادر والمراجع64

الفهرس.

ملخص:

جاءت الدراسة بعنوان " مظاهر الاقتصاد اللغوي في الخطاب النبوي الشريف-خطبة حجة الوداع أنموذجاً- " في خطة تضمنت مقدمة مهّدتنا فيها للموضوع، وكذا مدخل تضمّن مفاهيم متعلقة بالموضوع، وفصل نظري خصصناه بالحديث عن ماهية الاقتصاد اللغوي، من مفهوم ونشأة وتطور، وكذا مظاهره ومبادئه ونظرياته.

وفصل تطبيقي خصصناه بالحديث عن مظاهر الاقتصاد اللغوي في نص خطبة الوداع. وخاتمة تطرقنا فيها إلى أهمية الاقتصاد اللغوي ومكانته القيمة في الدرس العربي.

Résumé :

Les études viennent sous le titre de «les phénomènes de l'économie linguistique-dans le speech du pèlerinage d'El-ouadaa-».comme un exemple et un modèle dans un plan comme suite:une introduction dans laquelle on débutait le sujet et qui a inclus des notions concernant le problématique, et un coté théorique de la réalité de l'économie linguistique ,de sa définition et sa création ainsi que son évolution et son développement, et aussi ses phénomènes, ses principes et ses approches et théories.

Le côté pratique est spécifié dans l'études des apparences de l'économie l'linguistique dans le texte du speech de pèlerinage El-Ouadaa.

On a procédé la conclusion avec l'importance de l'économie linguistique, et son rôle primordiale dans l'étude de la langue arabe.